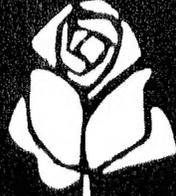


فأروق منيب

الجرح
والوردة



دار الشروق

الجرح
والوردة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

القاهرة: شارع جنود الحسين - هاتف: ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقية: شروق - تليكس: SHOROK 20176 UN
بيروت: ص.ب. ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧١٥ - ٨١٧٧١٣ - برقية: دائر شروق - تليكس: SHOROK 20176 LB
SHOROUK INTERNATIONAL: 31B/318 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL: 837 2743/4, TELEK: SHOROK 26770 G

فَارُوقَ مَنِيْبٍ

الجرح والوردة

دار الشروق

إهداء
مرة أخرى إلى
زوجتي ثريا حمدي ...

كلمة صغيرة

في الطريق من حلوان إلى القاهرة كنت أدون في مذكري الخاصة بعض الخواطر التي تسليني لقطع الملل خلال المسافة الطويلة ، ولأني كنت متعبا إلى آخر المدى ، وجدت القلق يدفعني أن أسأل نفسي : هل انتهت ؟ . في تلك اللحظات كان الموت قريبا مني جدا . الدم يحمل بالسموم ، ورأسى خامد ، والأورام تنتشر في جسدي ، والألم يحتويني كلي . كنت أحاول أن أدفع اليأس عن قلبي وعقلي بمحاولات صبورة مستمرة ، لكن هجمة الموت أقوى مني . ودخلت في عالم آخر ، له تقاليده وسماته وأحزانه . الدم والإبر والأنابيب والتخدير والتحليل والآهات والوجوه الصفراء وطلب النجاة ... الخ . وفي اللحظة الأولى التي وضعت فيها حقيقتي في المستشفى أمسكت قلمي ، لأهرب من عالمي الجديد . صممت أن أخترق الأكتئاب الذي يلازمي . عدت إلى أيام الطفولة والشباب المبكر وأيام القاهرة في الخمسينات ، حيث كانت تعج بالموهوبين من كل صنف ... ومررت على كل الأماكن التي جاست فيها قدمي . ولم يكن همي أن أكتب قصة أو مقالة أدبية أو حتى يوميات في الصحيفة . كان همي أن أفلت بجلدي من الموت المؤكد الزاحف إليّ . وإلى هذه اللحظة وأنا أدفع العدم عن

روحي وجسدي ، وكل المعاني التي ترسبت في عقلي ونفسي ووجداني ، على مر السنين . ولعل كتابة القصة القصيرة كانت فرحة العمر الدائمة في حياتي . وهذه الفرحة المستمرة تتكرر منذ عام ١٩٥٣ إلى الآن ، وحتى في أحلك الأيام ، فإن الاستغراق في كتابة قصة قصيرة يخفف الهموم . وليس هدفي أن أتحدث عن معنى القصة القصيرة ودورها في أدبنا العربي وتاريخها وكتابها . فهذا الفن الجميل المكثف الشاعرى الواقعى ، قد أعطى أدبنا نكهة مشمرة . وربما كانت متعتى في القراءة لا تقل عن لذة الكتابة . ومن حسن الحظ أنى عملت في الصحافة الأدبية سنوات طويلة . أما الأساس ، فهو هذه الحياة الممتدة التي عشتها بين الفلاحين في الريف المصرى ، وتجارب العمر ذات الطعوم المختلفة . والكاتب يتذوق ويمتلئ بالتجارب الحية كما يتذوق ويعرف وينضج من خلال الثقافة ، ومن الدعوات الاجتماعية العامة ، إلى القيم والمعاني التفصيلية التي تصبح حبيبة إلى قلب وعقل الفنان ، تدرجت في هذا الطريق . إن كل إنسان عالم قائم بذاته ، مهما بدا من السطح أنه يتفق مع الآخرين . والنفوس البشرية ذات أعماق بعيدة ومعقدة وليس هناك أحكام قاطعة على الأعمال الأدبية الجيدة ، فكلمة مر الزمن عليها ، كلما اكتسبت طعما وقيمة متجددة . وبصراحة أقول : لئن لم أشبع بعد من رحيق هذا الفن الأخاذ المشع . ولعل ما يثلج الصدر فرحا ، أن فن القصة القصيرة أصبح له تاريخ ممتد من أدبنا العربى ، وله أيضا قراؤه المعجبون به ، وله كتابه الذين يخلصون له ، وأنا واحد من العاشقين أو المحبين أحاول أن أتعبد في محرابه . وقد منحني هذا الفن المعنى ، في وقت كان هجوم الموت قاسيا وعنيفا وضييقا . عدت أكتب القصة القصيرة من جديد . أتبتل عند مقامها . بعد أربع مجموعات قصصية هجم الذى لا يذكر اسمه ، ثم كانت مجموعتى الخامسة « عابرو سبيل » ، التي

صدرت عام ١٩٧٥ . وها هي مجموعتي السادسة ، ومن يدري ربما كان في العمر بقية لنواصل حب هذا الفن الجميل . ومن تجرئى أقول : إن كتابة القصة تحتاج إلى الدمع والدم قبل أن تحتاج إلى التزييق والزخرفة .

وربما كانت قصة تقريرية مباشرة أروع عشرات المرات من أحدث قصة تكتب بصيحة جديدة . إنى أهتم بلحم الواقع وعروق الأمل التي تبرز منه ، رغم تناقضات هذا الواقع ومشكلاته . أيضا أعتقد بتفتح زهور وألوان القصة على أقلام الكتاب . وكلما ازداد هذا التنوع ، كلما ازدادت قصتنا العربية الحديثة ثراء وخصوبة وتأثيرا . وإنى أعرف زملاء لنا في السودان والعراق والمغرب العربي والجزائر وليبيا وسوريا قد بلغوا مراقي عالية في فن القصة القصيرة . وأصبح لكل واحد منهم أسلوبه المميز ، وروحه الداخلية ، وقضاياها وهمومها التي يطرحها من خلال قصصه . ولقد انتقلت أنا نفسي ، من كتابة القصة الواقعية المباشرة ، إلى القصة الواقعية الشعرية ، لكنى أعتقد في النهاية أن التصنيف المتعسف للقصة على أساس مدارس نقدية يظلمها . وربما يسد الطريق أمام تطور الكاتب ونضجه . فالفن عملية إبداع وخلق مستمر . وأيضا ، فإن الرومانسية تكمن في أعماق الواقعية . وما من عمل أدبي عظيم إلا ويجمع بين أعطافه الواقعية والرومانسية معا . أيضا نتخلل عروق التجريدية والسيرالية والغشبية الواقعية . وكما تفاجئنا الحياة بدموع الفرح والبكاء في آن واحد معا ، فإن القصة يمكن أن تجمع هذين النقيضين معا . وكما ينبثق الفرح الإنساني من درقة الأحزان الصلدة ، فإن القصة تبرز من معاناة الفنان وعذابه ، حية ومفعمة بالأمل . ونحن نكتب لتغير من صورة الواقع المختلفة ولنكتف قيم العدل والحرية ولنحتفظ ببقاء وصدق وتلقائية طفولتنا .. ولا أحد يعرف لماذا نكتب ؟ . فالفن هو الداء والدواء معا . هو

العذاب والفرحة ، هو الضرورة الحتمية كالحرية لبني البشر .

وفي كلمتين ، نحن نكتب لنتمرد ونثور على الواقع ونهندس الأرواح البشرية ، ولنمحو الاستغلال والاستبداد ، من على جبين الإنسان ، وننقّر أيضا من صورة القبح والأبتدال والسطحية والغلظة والصفافة ، التي يخرّبها الواقع . ونحن أيضا نصمت في بعض الأحيان ، حين تفقد الكلمة معناها وتزيف ، وتصبح وسيلة تضليل وخداع وكذب في أيدي الكتاب .

والقصة القصيرة في النهاية هي بناء عمر ، وذكريات أيام ، ونبض حياة مستمرة ، ومعنى وتجارب وثقافة ومعاناة . وعفوا لأنى لا أستطيع أن أقول شيئا عن القصص التي بين يدي القارئ الآن . فهي منه وإليه ، مضافا إليها محبتي .

فاروق منيب

مارس سنة ١٩٨١

هارو- المملكة المتحدة

النجم الصغير....

في قوقعته كان وحيداً يتأمل ما حدث . لا شيء يطفو على السطح . ذرات من الألم والجراح ، كلها مخزونة في داخله . أسرار عميقة لا يعرفها أحد . لماذا يجتر الذكريات بهذه الطريقة ؟ . لم يتعود على الكتمان ، أو الروح الخنوقة . في الطفولة والصبا كان مجبوحاً . قلبه يفيض بحب البشر . الآن تضيق الدائرة من حوله . وحده بين الجدران والألوان الداكنة . سجن انفرادي ، مقيت يود الهروب منه . أطياف اليأس ترفرف حوله ، تدف باجنحتها الكثيثة . دفق اللحظات لا يعطيه ما يريد ، من الأمل والحب والقوة . أستمع ينحت ويقلب في الذكريات ، حتى هذه أصبحت أسطوانة مكررة لا يطيق الرضوخ إليها . البرودة تجتاح صدره . نثر منه خلاوة المفاجأة ، ودفء الصداقة والمعارك الحامية . أصبح يسبح في نهر الهزيمة الشريفة . بزغ له نجمه من وسط الركام . رجب به ، محتضناً إياه . تبادل العتاب من خلال مودة العمر . قال له : عدتني يا صغيري . خفف على أرجوك . نظر إليه النجم البازغ مبتسماً وضاحكاً ومشرقاً :

- عفوا يا بابا ، لا أقصد شيئاً .

أجلسه قبالة وراح يتأمل وجهه ... كان ناعماً ودقيقاً ، وفي لون اللبن

الحليب . خفق الفرح في قلبه . تفتحت طاقة الجمال في روحه . امتلأت نفسه بالرضى والشبع . سبحان مغير الأحوال . دنيا كتبت علينا . العينان في العينين والإحساس في الإحساس ، وخيط رفيع مشدود الإرادة ، يربط الأب بابنه .

قال له النجم الصغير :

- متى تشتري لي الحصان ؟ . . .

قال الأب :

- قريبا إن شاء الله ...

قال النجم :

- لا ... أريد أن أعرف الآن ...

قال الأب :

- في عيد ميلادك ...

الآن يسبح النجم في عالمه ، بينما يجدف الأب ليخرج من قوقعته . الأطفال أحباب الله . ضحك الأب في سره . من قال هذا ؟ . الأطفال أحباب اللعب والشقاوة والشجر والطيور والأنهار والحيوانات والمكر في بعض الأحيان . ندم على أنانيته المفرطة . تذكر يوم ميلاد النجم الصغير . كانت الغارات تجتاح أرض البلد . جاءت ساعة الطلق الحاسمة للأم مع لحظة انطلاق المدفع المضاد للطائرات . وكلما ازداد عناء الأم ، كلما ازدادت الغارات كثافة وحدة . مسح وجه الأم المحمى بالمسحوق الكريستالى اللامع . وأخيرا انبثق النجم مبللاً بدمائه وصرخاته . كان يتحدى القنابل والصواريخ القاتلة . فتح عينيه على الواقع .

ضرب الهواء بيديه . قطعوا له الجبل السرى ، ثم طببوا جراحه . هدا ليلتهم ثدى
الأم في اليوم التالى . قبلته الأم والأب لأول مرة في حياته . تسيل دماء أبيه أمامه
يوما بعد يوم . يرى في صمت غريب . لا يملك غير القبلات يرسلها إليه في الهواء
أثناء اللعبة الخطرة . يفهم ، ثم يكتم في داخله . لا يكاد يبين خيط الحزن من
القلق من الخوف في روحه . تعجز كلماته عن الإفصاح . يريد أن يخترق كثافة
الظلمة بالحصان المطهم . قدم له الأب كويا من اللبن . يود أن ينطلق معه في
بجوحة من الفيض الروحي . الأفكار والخواطر والرؤى المجسدة تضرب رأسه
بعنف شديد . الندم والخوف مع المسئولية والأمل . هذه الحياة حلوة بكل معاناتها
ومخاطرها وتعقيداتها التي لا تنتهى . كان يريد أن يفض غلالة الضعف من نفسه .
تدفقت الكلمات على لسانه غير مسموعة . طبت طفلاً وصبياً ورجلاً وشيخاً
يا صغيري ، ومتعلك الله بجمال الدنيا وصدقها ومعاركها . هل أحكى لك فصولاً
من قصة حياتى ؟ . حاول أبوك أن يقلل دائماً من كمية الكذب والنفاق في
نفسه ، وأن يعيش شريفاً . إنى مهموم بك وبيلى وبالعالم كله . لم أعود الكسل
أو البلادة أو الاستنطاع . ولو حدثتلك عن مثلى الأعلى لقلت لك ببساطة : أحب
أن أكون « جدعا » كأولاد البلد الذين حاربوا الفرنسيين . أنهزم ... أفضل ...
نعم ... أتخاذل .. لا . ولدى : هل تعرف كم كان نهرو يجب أبنته أنديرا . ؟ .
صنعت أنديرا وقاومت كل المغريات والأوضاع الفاسدة في الهند . ألف لها أبوها
كتابا يحوى تاريخ العالم كله . وكان الفلاح الطيب العجوز ، عم شاذلى يعرف
الساعة بالفطرة ، يوقظ حفيدته الذاهبة إلى المدرسة كل صباح ، حاسته السادسة
لا تخفى . من المهم الآن أن تكون يا ولدى مسئولاً عن زوج الحمام الذى تربيته
فوق النافذة ، وتهدهد خروفك . تصغى وترى جيداً الانتقال من الشتاء إلى

الربيع ، لا تجعل أحداً يسوقك مرغماً أمامه ، أو يجرك مستسلماً . إنى لا أحب
المواعظ المنيئة .

* * *

وهمس النجم لأبيه :

- أحبك يا أبى .

قال الأب :

- وأنا كذلك يا حبيبي .

- إذن متى تشتري لى الحصان ؟ .

- عندما تطعم خروفك .

وفي لحظة تعانق النجم الصغير مع أبيه . القلب على القلب ، والذراع
تلتجم مع الذراع . أمحد الشعور . واختلطت ذرات الضعف والخوف والندم مع
ذرات الحب والمقاومة والأمل . من يعطى القوة إلى الآخر؟ . إلى أين تمضى
الأيام؟ . إنحسرت موجة الهزيمة القاتلة وسط عنف العواطف العنيدة .
وانتشر الضياء يغطى جذران الحجر . لمع لون الدم الأحمر القانى وسط
الألوان الأخرى كقوس قزح الشتوى الجميل ، ثم ساد الصمت من جديد .

* * *

نحو النهار....

كنت خالى البال ، تتهادى إلى نفسى راحة لطيفة . وكان الجو ربيعيا منعشا . شربت كوبا من اللبن الحليب ، ثم فطرت بيضتين ، وعيشا طازجا ساخنا . ولم يبق أمامى إلا رياضتى اليومية المفضلة فى المشى . قال لى الأطباء : إن المشى صباحا يطيل العمر . وأنا شعوف بطول العمر منذ زمن بعيد . أرتب كل شىء حتى لا أدخل فى شيخوخة عملة كثيبة . الآن لدى حديقتان للبيت ، واحدة أمامية تزهر بالورد البلدى الناصع الاحمرار ، والأخرى فى الخلف ، يفرشها الياسمين وأشجار المانجو والبرتقال وعلى سطح البيت أقفاص عصافير الجنة والدبوك الرومى والأرانب التى أغرم بها ، وزهرات الزرع الأخضر البانع . الآن أتأهب لرحلة كل صباح ، المشى فى الصباح ساعة ، حتى لا أصاب بتصلب الشرايين . أطعمت خروفي وعنزاتى الصغرى بجزمة البرسيم ، وحنوت عليها وأنا سعيد . أرتديت أخف الثياب ، وفكرت فى اتجاه رحلة اليوم . معظم الطرق جاست فيها قدمائى ، وفجأة طرقت ذهنى فكرة جديدة ملأتنى طرباً وجيشاناً . لماذا لا أطلع إلى التل فى هذا الصباح الجميل ؟ . سكت وأنا أحتضن فى صدرى شعاع الفرح القادم فى دفء . أصبح من عادى تأمل الأفكار المفرحة . سرت النشوة فى جسدى كله إلى أن وصلت إلى قدمى ،

فأحسست ببهجة العافية في أصابعي . أتوكل على الله بدون تردد . المشوار طويل ، والمكان مرتفع ، لم أصعد إليه منذ أيام شقاوة الطفولة وطيش الشباب المبكر . ألقيت نظرة سريعة على أشياءى وطيورى وغترائى . لفحتنى نسمة هواء طرية ، فتفاءلت . استرخيت مندجماً فى فرح الطبيعة الطيبة . الأذن والعين والقلب ، كل أولئك يتأوج مع الحضرة الممتدة والمياه المنسابة الرائعة ، والأشجار العالية ، التى تشارف الأفق . تخلصت روحى وجسدى من كل الأحزان والقلق اليومى السخيف . اللحظات حلوة وصافية تتدفق على مهل إلى نفسى ، فأحتفل بها كأنى فى عرس كوفى ، أتلقى تهاى الأحباب والأصدقاء . ترف أجنحة الحب فى قلبى . أصبحت أسبح على الأرض مع التيار . غمزت صنارنى ، فانساب السمك الفضى فى حجرى ، دون أن أسعى إليه . لم أكن أشعر بأنى أرتفع وأرتفع . التل ما يزال بعيداً ، ولكن عيني تشرخ فطائر النسمات والأشجار إليه . وقتت ودرت حول نفسى من كل اتجاه ، مبهورا وفرحاً ومنتشياً بالتيه الذى يحتوينى بين أحضانه . وفوق رأسى كانت الحمامات والعصافير تظلل الطريق ، تطفو ثم تعلقو فى درجات متناسقة متناغمة خلال السماء القريبة . كنت خائفاً أن يضيع منى شىء لم أره . أعود إلى أيام الطفولة ، حيث كان التل يزهو بالحضرة اليانعة ، تكسو أرضه وسماءه الطبيعة الساحرة . أشتاقت أن يتواصل الود الخالص القديم ، الذى تربى بينى وبين التل ، على مر السنين . هأنذا أعود إليه فى هذا الصباح ، بعد غياب طويل . كنت أمشى فى دوائر صغيرة ، حتى أكتسب حلوة كل لحظة ، وكل شبر من الأرض الخالدة . وفى بعض الأحيان كنت أعود إلى شجرة أوزهرة أوقوفة ، لأتأملها من جديد ، لم أعد أمشى أو أسبح ، بل أغوص وأغرق فى كل حفنة رمل وأخرى .

أصابني خدر لذيذ ، لم أجربه من قبل . صفقت وأنا أبتهل إلى الله ، أن
يديم نعمته على الإنسان . تماديت في التلكؤ حتى أشرب الذرات الطائفة
والمستكنة في أعماق الوجود . وفي لحظة واحدة ، أحببت العالم كله . نسيت كل
التعب والمعاناة . مشيت ومشيت ... سبحت وسبحت ، طرت و طرت ...
أرتفعت وارتفعت ... سموت وسموت ... وعيني ما تزال على التل . أريد أن
أعود إلى طفولتي وصبأى ، حدسي لا يجيب ، سوف أعود مفعماً بالفرح ، كسرة
الخبز في يدي ، وجرة الماء في فمي ، والأغنيات الامله في صدري ، تماماً كما يام
الطفولة الأولى . لا شيء يضيع . هتفت بأعلى صوتي ، فجاءني الصدى من قم
أشجار الكازورين والكافور ومن السنة العصافير ... أحبك أيها الدنيا
الصغيرة . كنت أقبض على مصباحي ، وسط شعاع الشمس الساطعة . لا شيء
يضيع . تحسست صدري ، فإذا نبض القلب يرف مع أجنحة الطيور التي
ترفرف فوق رأسي . الآن يقرب التل . تركت النهر ورائي ، لكن العرس
ما يزال قائماً . أعاتق الأحباب . نضحك معاً ، نسترجع الذكريات معاً ،
نتجمع في بلورة واحدة ، نلم الشمل بعد طول فراق . فردت ذراعي على
أكتافهم خوفا عليهم . جرينا معاً ، ثم قعدنا معاً ، غنينا معاً . ابتسمت لأنني
سرحت في خيالي المضح . قلت : وداعا ... فقالوا : لا ... لا ... سوف نبقى
معاً . عرجت إلى هدفي . بدأ الطريق يتلوى . الأرض خشنة بعض الشيء .
قدمای تغرزان في الرمال : تخلفت الطيور وتركني وحدي . حرارة الشمس
تشدد . أسرع الحظي ، وقعت ، فقممت مندهشاً . شرخ قلبي إحساس
غريب . ما الذي حدث ؟ . طردت وساوسي وهواجسي وظنونني . هل أعود إلى
أحوالي وعاداتي القديمة ؟ . همست داعياً ... اللهم نجحنا مما نخاف . أقتربت من

التل . أين جميزة زمان ؟ . هل تغيرت معالم المكان ؟ . وعن يميني وأنا الهث إلى
أعلى بانث بعض الملامح . كان هناك كتل من الصخور تعترض الطريق ،
وأكوام من النفايات تتناثر . وزكمت أنفي الرائحة التي أخاف منها . وفي لحظة
خاطفة رأيت المساحة الواسعة . وحبست أنفاسي ... كانت المقابر تتناثر على
الرمال الجرداء ... غشيت عيناى باللون الأبيض ... نبات الصبار يتسلل إلى
قلبي ... سقطت عافيتي إلى قدمي ... لكنى وبسرعة مذهلة ، يمت وجهي إلى
أسفل ، مطلقا ساقى للريح ... كنت أجرى ... وأجرى ... وأجرى نحو
النهر ...

الصديق والنخلة

مهداة إلى روح صديق عبد الحميد عبد النبي

فجأة بزغت لى نخلتى القديمة من جديد .. رأيت صاحبي فى قمتها يهزها ..
تساقط الرطب الجنى . قضمتم قطعة من التفاحة فى يدى .. نظرت إلى
الأرض .. ابتسمت لماذا يأتى صاحبي الآن ؟ تسلفت نظراتى إلى الجالس
جوارى .. شاب فى مقتبل العمر ، يكتنفه مهرجان من الخواتم والنياشين
المتواضعة .. تتحلى رقبتة بعقد رخيص دس قدميه فى حذاء ذى كعب عال ..
طلب منى أن يشعل سيجارته . أعطيته عيدان الثقاب . انفتح باب المودة بيننا
قلت له :

- من أين ؟ .
- من أسبانيا .
- جئت للسياحة ؟ .
- نعم ...
- أسبانيا جميلة ، أليس كذلك ؟ .
- فى هذه الأيام فقط .
- وقبل ذلك ؟

- كانت جحيبا لا يطاق .

فهمت مغزى كلماته .. عاودت قضم تفاحتي .. لا يزال صاحبي يداعب
خيالي .. أوصيته أن يأخذ حذره ، حتى لا يسقط من هذا الارتفاع
الشاهق .. رد على طيفه :

- لا تخف ... تعودت أن أهر هذه النخلة ، فيساقط الرطب ... إنها
سعادتي ... أن أقدم طعاما للآخرين ... أرجو أن تأكلوا جميعا ...
قلت :

- هؤلاء غرباء ... لا يعرفون طعم بلح بلدنا .
قال الشاب

- لوتذوقوه ، فسوف لا ينسون حلاوته ...
قال الشاب :

- وأنت ... من أين ؟
قلت :

- من مصر ...

اشرقت ابتسامة على وجهه :

- بلد كليوباترا ؟

- نعم .. وبلد السيدة والحسين كذلك ا .

سرح بصرى مع المارة .. بشر من جميع بقاع العالم .. إنه مهرجان
الأوكازيونات السنوى .. أطفال وشيوخ ونساء وشباب .. وكل واحد يحمل
برغبته .. ما أحلى أن يجلس الإنسان ليتفرج على الآخرين . مهرجان من

الأزياء ، الإنجليزية وعربية وفرنسية وأمريكية وصينية وأفريقية ... تطلعت إلى ثياب صاحبي فوق النخلة .. كان يرتدى ملابس الفلاحين المصريين .. ربط جلبابه الأبيض الشفاف بحزام من الصوف .. وضع على رأسه طاقيّة بسيطة ، حافي القدمين . يشع وجهه بنور الحياة ورونقها .. عريض الجبهة حلو السيماء .. منسق التقاطيع . في كل دقيقة يهز جذع النخلة ، فيتساقط الرطب على رعوس السائرين .. يأكل وهو يضحك ضحكته المجلجلة التي تعودت عليها .. ينظر بطرف عينه اليسرى ، ثم يترك اليمنى نصف معلقة . يتحدث بلغة أهل الريف الطيبين ... يا جماعة لماذا لا تأكلون بلحى ؟ قلت للجالس بجوارى فجأة :

- هل تحب البلح ؟

تردد قليلا ، ثم قال :

- نعم ، إنه فاكهة لذيذة ..

صمتنا نحن الإثنين .. انتابه نوع من القلق والتوتر على أثر سؤالى .. لم يكن

على أرض الشارع المكتظ بلح من أى نوع .. همس الشاب :

- إننى أحب الكريز .. لكن سعره مجنون .. مجنون مجنون .. ألا تحبه ؟

قلت :

- أحبه .. لكنهم فى بلادنا لا يأكلونه ...

تلملم فى جلسته . أردت أن أوصل معه مودة الحديث :

- ما أخبار الانتخابات الأسبانية ؟

- لا بأس .. أهم شىء أنها تجرى بعد أربعين عاما من الحكم الديكتاتورى

المظلم .

- هل تعلم أن بين أسبانيا والعرب وشائج قديمة ؟
- ذلك تاريخ مضى .. يهمننا الحاضر ومشكلاته .
- هل تحب لندن ؟
- مدريد أحب مدينة عندي في العالم كله ... تركت هناك حي وذكرياتى ...

واهتزت النخلة بصاحبي .. أشفقت عليه من السقوط فجأة .. كدت أهتف .. حاسب .. حاسب .. لن يشعر بموتك أحد .. كان صاحبي يجب المغامرة التي تنفع الناس ، طموح وحبوب .. يشيع الهجعة في المكان الذي يحل به .. يدفعه الفضول وحب المقلب أن يرى الآخرين في موقف حرج . ها هو يتأرجح فوق النخلة ، يضحك من قلبه .. يسخر من نفسه ومن الآخرين .. أمسك بسعف النخلة وحشفتها .. تجمع المارة حول إحدى الفاترينات ، التي حشدت قصص شكسبير الشهيرة ، مجسدة بشخصياتها كوسيلة للإعلان .. يمسك الأطفال بأفئاع الجيلاتى في أياديهم .. الشحاذون يتمددون على الرصيف .. لافتات الحملات الكبرى تحذر من النشالين .. إنه موسم الصيف ، والنهر السائل يسبح في قلب المدينة .. ما الذى أتى بصاحبي وسط هذا الضجيج هنا والنخلة والبلح ومحبة الأصدقاء .. ؟

* * *

تحملنى الذكريات على جناح السنوات ... الماضى له طعم ولون ورائحة .. كل لحظة بمعناها ، الحلو والمر على السواء ، والمضحك والمبكى ، الهازل والجاد ، الحنون والخنسن ، لماذا تبرز ذكريات الماضى أمامى الآن ؟ تمسك بعنقى إلى النهاية ، تفرحنى وتشقىنى ، تهزنى من الأعماق .. قلت لصاحبي فوق النخلة :

- إنزل لحظات ..
ضحك وقال :
- لا .. لن أنزل .. سوف تظل هامتي سامقة ...
رجوته وأنا خائف :
نضع في كل فم بلحة .
- أخشى عليك من هذه التلقائية .. لن تستطيع أن تطلق ضحكة تهز جذع
النخلة :
- المهم أن أكون راضيا عن نفسي .. أليس كذلك ؟ !
نبتت أيامي معه ، همست :
- هل تذكر تمثيلية رئيس مجلس الإدارة ؟
قال وبقايا انفجار ضحكته السابقة على محياه :
- وهل يمكن أن أنسى ؟



تجسدت في خاطري إحدى لعباتنا المسلية القديمة ... كنا نعبث ونضحك ،
لكن الأصل في نفوسنا كان الطهر .. انتهزنا فرصة غياب رئيس مجلس الإدارة ..
كنت أمثل دوره بإتقان .. أدخل لأقتنن وأرى بروفات العمل .. أغضب إذا
رأيت إهمالا في مكان ما ..

يقف الجميع ضاحكين ، يفهمون اللعبة .. الوحيد الذي كان ضحية التمثيلية
زميل جديد يتدرب .. لم يتطرق إليه الشك لحظة واحدة في هزلية التمثيلية .. وقف

أمامى يترجم برقية عاجلة من وكالة « رويترز » .. بدأ ... رويترز ... لندن ...
جعلت أعيد الاسم أمامه مرات ... وبنغمات مختلفة .. لاندن .. لوندن ...
لوندنم ... والزميل الجديد يكرر ورائى مقتنعا .. لأنه يريد رضا رئيس مجلس
الإدارة .. أخيرا شعرت بالندم .. صارحته بعثنا .. لم يصدق .. أخرجت له
بطاقتى الشخصية .. ضحكنا جميعا ...

* * *

كان صاحبي يجب المسرات الدائمة ... الحقيقية والعشبية والهزلية ، لكنه فى
النهاية يحتفظ بنفسه البيضاء كاللبن الحليب .. أول مرة رأيته ، توجست خوفا من
فضوله الرقيق ... لكنى أدمنت هذا الفضول فيما بعد . كان يلذ له أن يعرف
الأسرار والخبائيا التى لا يهتم بها أحد .. فضول لطيف لا يؤذى أحدا .

* * *

عدت إلى الأسبانى الجالس بجوارى .. تأملت خواتمه ونياشينه المتواضعة ..
كان يرسل شعره كالمنسج .. يعلق صورة جيفارا على ذراعه اليسرى .. يتفرج على
المارة بعينه الخضراوين الجميلتين .. يتميز بأنف رومانى دقيق ، قام واشترى
خوخة وضعها فى حقيبتة .. هبت نسبات الصيف اللطيفة .. إنه يوم نادر المثال
عندما تشرق الشمس فى قلب لندن .. يسود الفرح القلوب والأرواح ... يتخفف
الناس من ملابسهم .. وصاحبي لا يزال فوق النخلة يهزها ، لا يلتفت إليه أحد ..
وجدى أجترم معه الذكريات والسلوى - لم أعد أستطيع أن ألمس كفيه .. أن

أضحك معه ضحكة متدققة من القلب .. هل كف نبضك يا صاحبي إلى
الأبد .. ؟ وبق طيفك يحاول أن يقدم للناس رطبا جنيا من فوق نخلتى
القديمة ؟ ! .

الجرح والوردة

على الشاطئ تمدد على الرمال يتأمل ما حدث . البحر أمامه لا حدود له .
القواقع بين قدميه . النسيم اللطيف يلفح وجهه . أخيراً يستريح لحظات من عنفوان
المعركة القاسية المريرة . كم لعبت به الأيام والسنون . ما يزال الجرح غائراً في
ذراعه الأيسر يتزف دماً قانياً . سبع سنوات وهو يتزف . تلهف يبحث عن وردته
بجواره . جذبها إلى أنفه ليغير من رائحة الدم المزمنة . ضاعت منه هذه الوردة
مرات كثيرة . كان يعثر عليها بشق الأنفس . يقاوم بكل ما يملك ، لينبث عنها
تحت معطف طفله الصغير ، أو وراء ابتسامته النقية ، أو خلف قبة حبيبته . في
بعض الأحيان يكتب ، يحط عليه اليأس الشديد . فجأة تحلل رائحة الوردة
أنفاسه ، فيصحو من جديد ، يدب على الأرض نشوان فرحاً بالحياة . الآن
ما يزال الجرح يؤلمه ورائحة الوردة في فمه ، لا يدري متى وكيف بدأ ذلك الجرح
الغريب . استيقظ من النوم ذات صباح ، فإذا ألم بسيط كوخز الإبر في
ذراعه ، غرس بصره مكان الألم ، فلم ير شيئاً . وبعد أيام شعر بنفس الوخز . بخلق
مرة أخرى ، فإذا به يرى ورماً صغيراً ينث صديده .. خاف وأرتعب ، ثم تفكر
وتدبر . ربط الدم بعد أن وضع المرهم . وعاد يبحث شوارع المدينة الكبيرة ،
يضحك ويسخر ويتواصل مع الأصدقاء . كان يضع الوردة في عروته في النهار ،

وبجوار سريريه ، أوتجت وصادته ، في الليل . هذه الوردة تذبل في بعض الأحيان ، ثم سرعان ما تتفتح من جديد . تجرى فيها مياه الحياة على مهل . لم يعرف سرها بعد . يكفي أن يرونها بالدلال والحنان والغزل . ويهمس في أذنها بكلمات الحب صباحا ومساء . يلف بها القرى . والنجوم وعلى الشواطئ . يتغنى بها في الليالي القمرية ، وفوق السحاب ، وعلى سفوح الجبال . وكلما زاد هيامه بها ، كلما كبر جرحه وازداد ضراوة . وبويزة الحياة تناطح الموت دون أن يدري . فك رباط جراحه ، فإذا الدمامل يتمدد في كل ذراعه ، يخرج منه الدم مبتدقاً وعنيفاً . يضغظ ليوقفه بصعوبة بالغة . ويوما وراء يوم تحدث ظاهرة جديدة ، يقل نزيف الدم فيزداد الصديد ، ثم يقل الصديد فيزداد نزيف الدم . وفي مرة قعد على حافة التربة يصطاد السمك ، فإذا دماؤه تتسلل إلى المياه . ذعر من المشهد ، فجرى إلى البيت ليحكّم رباط الجرح . في تلك الليلة نام نوما قلقا متقطعا . حطت على صدره الكوايس المظلمة مع الرؤى المهجعة . حلم أنه مات ، وأن الدم قد صفي من جسده إلى النهاية ، وأنه أصبح عظما لا يكسوه أى لحم ، وأنه أصبح ذرات كيميائية في الأرض تساعد على نمو شجرة تفاح ، أو موز أو عود قصب ، أو ذرة ، وبعدها حلم أنه طلع إلى أحد الجبال ، حيث الخضرة الممتدة والطيور والجداول الصغيرة المنتشرة على سفح الجبل ، وكاد أن يحمش قبة السماء بأصابعه ، ليعرف مكونات الكون ، ثم عاد وحلم أنه كتب قصيدة من الشعر ، في نفاق أحد الأمراء ، فاحتقر نفسه ، ثم ضاقت أنفاسه ، فهب من نومه يمسح وجهه في عز الليل وهو يهيمس لنفسه . . خير . اللهم اجعله خيراً ... فتح نور غرفته ، وتناول وردته ، وبين اليقظة وآثار النوم ثارت دهشته في قلبه ... رأى ورقات الوردة قد كبرت وكبرت ... تحسسها بأصابعه ... وبحلق فيها بنظراته ...

فإذا اسم الله محفور عليها بخط رقعة جميل ...

تعجب من المصادفات .

قال للوردة :

- ما الذى حدث لأوراقك ... من أين جاءت هذه الكلمة ؟

قالت وقد اكتسى خدوها بحمرة الخجل :

- أحوال ...

قال :

صحيح أريد أن أعرف ...

قالت :

- يا حبيبي المعرفة والعلم أساس كل شيء . وإرادة الله تسمو فوق كل إرادة ...

إني أذبل ، ثم تكسونى النضارة من جديد ، لأنى أعرف سر الحياة الدائم ...

هتف فرحا :

- وما هو ذلك السر أرجوك ؟

ضحكت الوردة ساخرة :

- أن تظل شريفا وأصيلا مادمت حيا ...

قال :

- وجرحى الذى لا يكف عن التريف ؟

قطبت جبينها وهى تقول :

- قلبي معك ، لست وحدك ، هناك ملايين الجروح في هذا العالم ... أليس كذلك ؟

ومدت يدها إلى أحد أوراقها وهي تهمس :

- انظر ، إنني أنزف أنا الأخرى بدل الدم عطراً . أتعرف أنى سوف أذوى في يوم من الأيام ، ولكن بعد أن أكون قد قدمت رحيق عن آخره .
وأشرقت الابتسامة على ثغرها الحلو وهي تقول :

- لا تبتئس ... قدم رحيقك وليكن ما يكون ...
وتلملم الجرح في ذراعه قائلاً :

- إنى أعترض ... هذا كلام فارغ ... من يعانى غير من يرفع الشعار
الأجوف ...
قال :

- يا جرحى العزيز لا تزعل ... صديقتى الوردة تريد أن تحفف عنك ... فهل تمنع ؟
وتحشرجت الكلمات في فمه المتقيح :

- لا أمانع ... ولكن ...

ثم غمغم الجرح وبكى ... أغمى عليه ، ثم سال منه نخط رفيع من الدم .
وانكشفت الوردة منكسرة الجناح ، ترمقه بعين الأسى . همست له وهي عاتبة ...
ماذا يريد هذا المجنون ؟ . لم يستطع أن ينطق بكلمة واحدة ، حسبه أن يلتقط أنفاسه بعض اللحظات . البحر أمامه يمتد عبر الأفق البعيد . يزداد سيال التزيف من جرحه . النسيم اللطيف يلفح وجهه . يحاول ارتشاف رحيق العطر من وردته .

بشیر الأمل

في الصباح لم أجده بجوارى . جعلت أنتظره دقيقة وراء دقيقة . لماذا تأخر بشير ؟ . إنه يملاً وحدة الكلى الصناعية حيوية ونشاطا . لا يكف عن الضحك والحركة النابضة . فتي عربي في الثامنة عشرة من عمره . شقاوته العذبة تعطيه نصارة فوق نصارة . أين أنت يا بشير اليوم ؟ . بدأت أقلق من أجله . لم يتعود أن يتأخر من قبل .. كانت ماكينة الكلى جاهزة في انتظاره ، فقط سوف تضع المريضة الإبرتين في ذراعه ، وإحدة لسحب الدم ، والثانية لعودته نقياً معافى . في البداية كنت أعطف عليه . حين تحدثت إليه ملأنى إعجاباً . قلت له حين تعارفنا :

- هل أنت عربي ؟

- قال : نعم أنا عربي .

- من أى بلد ؟

قال : من ليبيا .

- ومنذ متى وأنت تعالج بالكلية الصناعية ؟

- منذ ثلاث سنوات ... وأنت ؟

قلت : منذست سنوات .

أخذ نفساً من سيجارته وهو يقول : ... ربنا يشفينا كلنا ... ربنا يشفينا .

قلت لبشير :

- وهل تعلمت شيئاً عن الكلى الصناعية ؟

قال : أعرف الكثير الآن .

بدأ قلتي يشتد .. تحاول الوسواس أن تتسلل إلى قلبي . طالما قابلت العديد من المرضى ، كل واحد يضيف لي هنا جديداً . ها هو غياب بشير يزيد هو اجسى القديمة . ودعنا إبراهيم في مستشفى المعادى وهو يقول : ... نتقابل في طريق الحياة ، لكنه عاد إلينا محمولاً على نقالة ، فاقد الوعي ، ثم مات بعد يوم واحد .. غاب المستر عبد القادر البنجلاديشى قبله من مركز الكلى الصناعية بشمال لندن . بعدها بيومين عرفت أنه مات . آخر مرة رأيت فيها بيرا كانت قبل الأمس . كان يضحك مع المرضيات الإنجليزيات . يداعهن وينبت .. في يده كاسيت يديره على أغنيات شعبية من الصحراء .. يا خليل الروي .. ويا حلو الحيا . الآن تقترب المريضة منى وهى تبسم :

- لم يستيقظ بشير من النوم بعد .

قلت : إني قلق عليه .. أين يسكن .

قالت : في الشمال ... ولكنه لم يعودنا أن يتأ :

فقدت وحدة الكلى في غياب بشير طاب :

ساكنين هادنين . لا حركة ولا ضحكة

اللمحظات التي سمعت فيها بموت رفيق . هذه اللحظة أعرفها بفطرتي

وحسى الذى لا يكذب . ما يزال السرير بجوارى خاليا ... والماكينة تصدر
وشوشات خافتة ... أنابيب المحاليل معلقة على عمدتها . كل واحد منا رقد على
سريره ينتظر كوب شاي الساعة العاشرة . كنت أريد أن يحدث شيء يحرك هذا
السكون السخيف . فتحت الصحيفة لأقرأ وأنسى ، فلم أستطع . ألح على طيف
بشير . حاصرني صوته ، إيماءاته ، حركاته ، نكاته ، روحه . ما الذى يوقعنى في
فخ الآخرين ؟ . فضولى نعمة لا مفر منها . كان يحدثنى عن صديقته الإنجليزية ،
يشير باصبعه في الهواء ، سعيدا ووثقا من نفسه تماما ، يعتره الزهو والاعتزاز ..
لقد غزت بنات الإنجليز .. عادت المرضة تحوم حول الماكينة وهى تقول :

- تكلمنا في التلفزيون ، فلم نجده ... أحسست بالقلق يتسرب إليها أيضا . زاد
الهاجس في نفسى وتجدد . ارتشفت جرعة من فنجان الشاي . كان بشير
لا يترك شيئا إلا ويعلق عليه :

كم كوبا من الشاي تشرب في اليوم ؟ ١ . ماذا تعرف عن الأغذية التى يكثر
فيها البوتاسيوم .. هل الويسكى ممنوح أم مباح ... ما رأيك في البلع ؟ ١ ..
إني أحب البلع .. أين تذهب في أجازة نهاية الأسبوع . كان يريد أن يعرف
كل شيء . لديه شبق غريب إلى المعرفة . سألتني ذات مرة :

- لماذا لم تزرع كلية إلى الآن ؟ .

قلت : ليس لدى متبرعون من العائلة .

قال بشير :

- وأنا الآخر ... ولكن ما هى شروط زرع الكلية ؟ .

قلت :

- لها شروط كثيرة ومعقدة .. الأهم أن يكون الذى ترزع منه هو توأمك أو أحد إخوتك أو أمك أو أباك .
قال : ومن غير الأقارب ... هل يصلح للزرع ؟
أهمس :

- لا أدرى ... الأمل أقل . يشرق وجه بشر كالعادة . تضىء عيناه بأمل مهمم غامض ... يلتفت إلى الممرضة الإنجليزية التى تقعد بجواره على السرير ، يعلمها بعض الكلمات العربية البسيطة ... مرحبا ... واحد ... اثنين ... ثلاثة ... السبت ... الأحد ... الخميس .. شكراً .. يضحك فيتحول وجهه كله إلى لوحة حية لحب الحياة ... يهتف ... أحبك ثم يترجمها إلى الإنجليزية للممرضة .. تضحك هى الأخرى .. تلكزه فى كتفه .. ينتهز الفرصة بسرعة ليهتف مرة ثانية .. أعطنى قبلة .. نحتلظ دماؤنا ... بضحكاتنا بروح بشرى اللطيفة المرححة ، فتبتدد ساعات الملل الكثيرة . ننسى الأخطار المتوحشة التى نعيش فيها . نظير على أجنحة من الأمل القادم . كيف يجيء ، ومتى ؟ لا نعرف . أين أنت يا بشير أرجوك . دوختنا يا شيخ .. الآن « توش » ما كينتلك بلا جدوى . يفرش الملل الوجوه والأعين وأعمدة العنبر الكبير . وعلى الأرض وحول كوب الشاى البارد الذى أحضروه لك حسب الروتين . تلتف الممرضات حول سريرك يردن أن يواصلن عادتتهن فى الضحك والألفة والأنس .. وها هو الطبيب فى جولته التقليدية اليومية على المرضى ... يتوقف عند سرير بشير يتسم وأطياف الرضى تظلل ملامحه ... يهمس :

- أوقفوا هذه الماكينة .. جاءت الفرصة لبشير فى الساعة السابعة صباحاً ...
أخبرنا الكمبيوتر بأن لديه كلية مشابهة لكليته ... نقلناه فوراً إلى المستشفى ليزرع

كلية جديدة ... إنه الآن في حجرة العمليات .. أدعوا له معى بالنجاح .
وفجأة بعد طول عذاب يتدفق الفرح إلى كيانى كله . تطير نثراته فى أرجاء العنبر
على وجوه المرضى . وفى أعين المرضات . وفى سقف المكان . وحول كوب
الشاي البارد . ينتقل أمل بشير النادر الذى حدث فعلا إلى قلب كل واحد
فينا ... فن يدرى ؟ .

آدم العربي ...

في تلك اللحظة لم أتوقع أن أراه : نحتته من الخلف يسبح الله . ساحة المسجد خالية ، يسودها الهدوء والصوفية العذبة . توقفت متردداً ... هل هو حقاً ؟ . اقتربت خطوتين . بانث ملامح الصورة أكثر . الأذنان يكتنفهما الشعر الأفريقي الكثيف . لا أريد أن أقطع خلوته ... لكني لم أتحمل المفاجأة . تقدمت إليه . لمستته من كتفه :

- السلام عليكم ...

رد السلام وهو يواصل ترنيماته السماوية . همست :

- ألا تعرفني ؟ .

قال :

- آسف ... مش واخذ بالي ..

اقتحمتني بنظرة فاحصة . لم أنتظر أن تسعفني الذاكرة . هتفت ... أنا ... وفي لحظة واحدة تعانقتنا .

أحتضنتني بذراعيه الطويلتين البضتين . أحسست تحت جناحيه بدفء حار . لا أنسى أبداً . هتفت في هذه المرة :

- هل تذكر يا آدم ؟ .
- قال وهو يمسخ وجهه بأصابعه :
- نعم أذكر ... كانت أياما ... كيف الأحوال الآن ؟
- قلت وأنا أغوص في بحر الأحداث :
- إنها رحلة طويلة وعميقة ...
- هل حدث تطور جديد ؟
- تطورات كثيرة ... هاأنذا تراني أقف على قدمي ...
- الحمد لله ..
- هل تركت العمل ؟
- تركته ولم أتركه ...
- كيف ؟
- تعبوني في السفارة ... لكنني مازلت أرسم .
- هل رسمت لوحات جديدة ؟
- طبعا ... طبعا ... إن لوحة الحياة لا ينضب معينها ...
- لا أقصد لوحات حقيقية ...
- نعم ... نعم ... لكن أصل اللوحات هو الأهم ...
- أنا أحب أن أعيش الحياة أولا ...
- قطعت عليك خلوتك .
- لا ... لا ... أنا سعيد برؤيتك ... هل أكمل أورادى ... ثم أمسك
- مسيحته وغاب في عالمه .

كانت الذكريات تلفني في بوتقتها الذهبية الصافية . من أين بدأت رحلة الغربية ؟ . في الطائرة شعرت بأن لي القدرة على التحليق . أحسست بالزهوك كما قال دوسانت أكسوبري الكاتب الفرنسي ذات يوم : كان يطير في السماء لينقل البريد من فرنسا إلى مراكش وبالعكس أيام أن كان الطيران في بداياته الأولى . شعرت بالغربة حقيقة حينما هبطت على الأرض حيث التفاصيل التي لا نهاية لها . مطار هيثرو في شهر فبراير ... هذه هي أرض لندن أخيراً ... الضباب والمطر والأمل في الشفاء ... خير اللهم اجعله خيراً ... بطني تمتلئ بالماء ... الأورام تنتشر في جسدي .. درجة البولينا فوق الثلاثمائة درجة ... عظمي على لحمي ... عيناي تحترقان الرؤية إلى المستقبل رغم قسوة الحاضر ومرارته ... الانتماء موجود إلى آخر نفس في الحياة . ها هو وجه الطبيب الإنجليزي يطالعي . أتوسل إليه في صمت :

- جئناك نلتئم الشفاء ..

يقول في عجرفة :

- هذه وقاحة لا أقبلها ... كان ينبغي أن تأخذوا موعداً قبل أن تروني ... يشملني إحساس باليأس الغامر . هذا الوجه الأحمر أعرفه . لي تاريخ طويل معه . ليس الآن وقت تصفية الحسابات القديمة . أحتاج إلى إنسان يأخذ بيدي . ينقلني .

قال الطبيب :

- من يدفع الحساب ١٢ .

قلت :

- سفارة ...

قال بحجة :

- ولكنكم تتعارفون معهم ...

أجتمعت لساني . لم أكن مستعداً للدخول في معارك جانبية . سكت على مضض . رأسي يوش بصداع قاتل . ينهار مني الجسد . يزحف الألم على روحي المتعبة ، وجسدي . ليس لي حيلة في رد العدوان . لماذا يعذبني هذا الطبيب قاسي القلب ؟ . نظرت إليه . كانت عيناه تفحصني عن قرب . يمتلئ بالغيظ . غبت عن الوعي في لحظة معينة . داخت رأسي . فلم أقو على التفكير . نفذت حيلتي . هتف الطبيب في وجهي ... أنت مجنون . ربما ، ما الذي فعلته حتى أستحق تأنيبه ؟ . أمرني أن أتمدد على طاولة الكشف . سحب الستارة على المكان . غرزت نظراتي في عينيه . ما يزال هائجاً لا يتحكم في أعصابه . دق قلبي بأصابعه . أخذ الضغط ودرجة الحرارة والنبض . غرز أصابعه في لحمي . تحسس ذراعي الأيسر وبه عملية توصيل الشريان بالوريد ، حتى يتدفق الدم بالراحة ، أثناء عملية الكلي الصناعية . قال :

- متى بدأت الكلي الصناعية ؟

قلت :

- منذ عام واحد ...

قال :

- ما هي المشكلة ؟

قلت :

- جئت أتعلم لأعالج نفسي بنفسي في البيت .

قال :

- هذا نظام لا ينفع عندكم ..

قلت :

- سوف أحاول ... هل تساعدني ؟ .

قال مرة أخرى بحدة وانفعال :

- ليس لدينا مكان ... عد إلى بلادك ، إلى أن ترتب لك سريرًا .
قت وأنا أكتظم غيظي . إني في موقف الضعيف . تلعثت الكلمات في فمي . لم أستطع أن أعبر عن نفسي . دخل طبيب عربي يساعده . شرحت له الموقف . رجوته أن يستعطف الطبيب الإنجليزي ، حتى يأخذ مسئولية علاجي وتعليمي . تبادل معه الحديث بإيجاز . تطلع إلى وهو يقول :

- لا فائدة ... إنه مصمم أن تعود إلى أن يرتب لك الأمر . انسحب من أمامي في هدوء . كنت متفائلًا بوجوده المفاجئ ، ثم سرعان ما شملني الغم . هرب مني أبن جلدتي ودمي ، وتركني فريسة للغريب . لعنت تخاذله وجبنه . أسلمني لقمة سائغة إلى الطبيب الإنجليزي ، ألعق جراحى وحدى . كان صفراوى البسمة ، هزيل المنكبين ، له وجه ضامر كأنه يدبر ويرسم المؤمرات الدائمة . قت أجرج رخيبة أمل شديدة ، أريد أن أنجبونفسي .

* * *

كان آدم قد انتهى من تسبيحاته . احتضنني من جديد . حلق ببصره في صحن المسجد وهو يتهد في شوق وحب ، ثم قال :

- هيه ... كيف الحال ؟ .

قلت :

- لا بأس ... وكيف أنت ؟ .

- إني أعيش ...

- ماذا حدث لك ؟ .. أراك مستغرقا في عالم آخر ...

رفع بصره إلى وهو يقول :

- وهل تريدني أن أعيش مع البشر وحدهم على الأرض ؟ .

قلت :

- أريد أن تعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله .

قال وهو يتسهم ساخرا :

- قيصر لا يستحق شيئا ... أما الله فهو يستحق كل شيء ...

- هل تركت صحبة المرضى ؟

- لم أترك شيئا ... الله هو الذى يعطى ويترك ...

قلت وأنا أخشى من وقع كلماتي عليه :

- يبدو أنك وصلت .

قال وخطوط جبهته تزداد اتساعا :

- دعنا من الوصول ... هل سمعت عن الحبوب الجديدة ؟ .

قلت :

- أية حبوب ؟ .

قال :

- الحبوب التي تساعد في عمليات زرع الكلى والقلوب ...

قلت :

- قرأت عنها في بعض الصحف .

قال :

- ألا تزيد فرص زرع كلية لك ؟

قلت :

- لعل وعسى ! .

قال :

- عرفت طبعاً بآخر عملية زرع قلب ...

قلت :

- وما رأيك ؟ .

رفع بصره إلى السماء وهو يقول :

- كل شيء بمشيئة الله ...

ومسح لحيته وأردف :

- من يقترب إلى الله ، لا ينسى انتصار العلم أبداً . أليس كذلك ؟؟ .

كان آدم أول وجه عربي طالعني في مطار هيثرو . لم أكن أعرفه من قبل . لم يخطئني ، وهو يبحث عني في وسط زحمة المطار . تعارفنا في لحظات . أوصلني إلى القسم الطبي ، ثم تركني . وفي اليوم التالي رأيته . كان حنوناً ودافئاً ووريق القلب . أحسست أني أعرفه منذ سنوات . أضفت عليه بشرته السمراء سحراً وغموضاً محبباً إلى نفسي . ليس زاعقاً ولا مبتذلاً . ومع ذلك ، في لحظة أو شكت أن أظن به السوء . فقد قالوا لي في القاهرة ... احترس من النصابين في لندن ... هي سوق عالمية للنصب والاحتيال . لكنني ندمت على هذا الإحساس ، وهو يصحبنى إلى جراح الكلى في شارع هارلي . هناك أشياء صغيرة تكشف الكذب من الصدق .

وهناك لمحات تم عن الإنسان الجلدع الأصيل ، من الإنسان المزيف . ومع ذلك فنحن لا نكشف الرجال ، إلا من خلال تجاربنا معهم ، أو من خلال مواقفهم ، أو حتى بكلمات عاجلة على ألسنتهم . قلت في سرى وقت أن تحقق اكتشافا لآدم: .. حقا ... من يعيش يرى . خرج لي آدم العربي من باطن أرض لندن ، ليقودني وسط الظلمة والألم والقلق المحير الكثيب . كانت خطواته في طريق علامة مميزة في رحلتي الطويلة ، بل رمزاً للمشاركة في أشد الظروف تعاسة وقهراً . ازداد حبي للإنسان على وجه الأرض . كنت أتأمل وجهه الأفريقي ذا الملامح البارزة ، شعره الكثيف ، عيناه الضيقتان الطيبتان . مسحة الثقة التي يمدني بها ، كلماته المتقطعة الهادئة التي تبحث عن حل معي . ازداد إيماني بأني عربي مسلم ، بل ازداد حبي للعالم كله ، للبشر جميعا . إنه آدم العربي الذي علمني أن أحب الناس والدنيا جميعا .

* * *

افترشنا صحن المسجد الكبير معا . كنا في اتجاه قبلة الكعبة . طوى آدم مصحفه ، ثم اعتدل في قعدته . قال :

- إلى أين سرحت أفكارك ؟ .

قلت :

- أيام لا تنسى ...

قال :

- لا تهم ... الله معك ...

ولسني من كنتني . نفذت نظراته في عيني . كان صافيا يمتلك نفسه .

- أردف :
- فما كنا نتحدث ؟ .
- قلت :
- في زرع القلوب ...
- قال :
- آه ... إني سعيد باكتشاف الجيوب التي تقلل من رفض الجسد للعضو المزروع ...
- وصمت لحظة ثم أضاف :
- الله يرضى عليك ويرزقك بكلية مناسبة ...
- همست خاشعا وأنا أقول :
- قال لي الطبيب : إن الفرصة نادرة جدا ...
- قال آدم :
- العبد في تفكير والرب في تدبير ...
- دعوت معه وأنا ألهج :
- يسمع الله منك يا شيخ ...
- وأردفت :
- أين تسكن يا آدم ؟
- قال :
- في شمال لندن ... مكاني القديم لم أغيره ... أجيء هنا لأصلي الفجر
- حاضرا ...
- والعمل ؟

- قال :
- ما زلت ألتقط خبزي بعرق جبيني .
- قلت :
- ألم توحشك البلد ؟ ! .
- قال :
- بلاد الله واسعة ... وكل بلد تستطيع أن تعيده فيها ... هي عامرة .
- وأشار بيده إلى قلبه ... من هنا أنطلق ... ثم أشار إلى عقله ... ومن هنا أفكر ، وأتأسق مع هذا العالم . أبني وأشيد ، هل رأيت لوحى الجديدة ؟ ...
- تعال وسوف تعرف ماذا أقصد . إننا لا نسيح فى الفراغ ... لسنا دراويش كما يظن البعض .
- وأردف آدم :
- كيف أحوال الأولاد ؟ ... كبرت نانا طبعاً ...
- قلت :
- عمرها الآن عشرون عاماً ...
- قال :
- أصبحت عروسة ... خير ... خير .
- واكتسى وجهه بضياء شفاف ، اختلط بسمرته اللافحة ، خفق قلبي فى صدرى براحة الضمير . من أين يستمد آدم هذا النور الداخلى الذى يشع على من حوله ؟ لم يتغير فيه شىء كيف افتقدته كل هذه السنوات ؟ فى بعض الأحيان تفقدنا الطرق المعقدة أقرب الناس إلينا ، ومع هذا تضع الحياة فى طريقنا الكذابين وأصحاب القلوب الغليظة .

ونودى إلى الصلاة . وقتت إلى جوار آدم أكبر جماعة . هل هو إشعاع جديد
يحفزنى إليه آدم العربي ؟ .

الكثيب والزهرة

في الحديقة الصغيرة كنت وحدي . أزهار الربيع تفتتح حولي . اللون الأخضر
يملاً عيني . لكن الوسواس نجتاح قلبي . أحاول أن أطرد الأحزان من صدري .
في مكثني أفرش ظلي . فجأة هل على طيفه . بادرنى بالتحية . غاب وعبي لحظة .
تماسكت أمامه . استجمعت شجاعتي المفقودة . لم أعد أخاف منه . طالما صاحبي
سنوات . ابتسمت رغم المرارة التي أحملها تجاهه . أكرهه .. أكرهه . رجوته
مستعظما ، أن نشرب الشاي معا . مد اصبعه يسألني :

- هل أنت سعيد ؟!

قلت وابتسامتي تزداد اتساعا :

- يعنى .

قال :

- انظر ... هذه شجرة التفاح تبشر .. حصول جيد هذا العام . أليس كذلك ؟!

تعجبت من كلماته . لكنى أردفت :

- الحمد لله ... الحمد لله ... قطف زهرة وفرزها بين أصابعه .

غضبت . لم تهن على الزهرة . تعبت في ربيها . كنت أتأملها يوما بعد يوم .

أراقب نفضها دائماً . خطف فرحى منى . هز شجرة التفاح . فتساقطت الزهرات
الجديدات . دعوت الله أن يكف نشاطه المدمر . قمت لأعمل له الشاى .

هو يعرف طريقى فى إرضائه . فر متضايقا . لا يجبنى ودوداً وطيباً وكرماً .
يريد أن ينفث سمومه فى بدنى مباشرة . طالما أجلت ضرته القاضية أكثر من مرة .
طاشت سهامه تجاهى ، لكنه يسكن فى داخلى ، لحظة وراء لحظة . حملت
أكواب الشاى بين يدي . رفض أن يتناول منى نصيبه . رشفت رشفة . كان الطعم
فى فمى علقماً . همست فى سرى ... دعنى أشرب قطرات الشاى بسلام . لم أستطع
أن أتبين ملامحه . كان كتلة هائمة مجسدة تخيفنى ، فى وجودها ، أو عدم
وجودها ، فى الليل أو النهار ، ساعات الفرح أو الحزن ، عندما أودع ابنى فى
الصباح إلى المدرسة ، أو عندما أستقبله فى الساعة الرابعة مساءً ، وهو عائد
منها ، يشاق إلى رؤيتى ، عندما أمسك كتاباً لأقرؤه . لف حياقى كلها بعباءة
سوداء قائمة . أسدل على ستاراً من الخوف والرعب المقيت . أفتح نافذتى لأشم
بعض النسائم ، فأراه يندفع فى أنفى وصدري مهتاجاً .

فى هذه اللحظة يريد أن يتكلم معى . سمعت صوته لأول مرة ، فإذا به خليط
من العدم واللاجدوى . صوت ليس كمثلته صوت ، لا أستطيع وصفه أبداً .
تعدت على أصوات البشر . كل واحد منهم له لون وطعم ورائحة . أعرف ما تريد
هذه الأصوات منى . لى الحرية أن أستجيب لها أو أرفض ، إلا صوته الفاتر
الغامض المسموم . يملأ أذنى فناء ولا شيئاً . تطلعت إلى ورقات الزهرة الديقحة .
تمنيت الا يمتد تخريبه إلى حديقتى الصغيرة بعد ذلك . أراد أن يحبس نبضى
فقال :

- هل تعجبك هذه الحياة ؟

قلت :

- أموت فيها .

قهقهة في الفراغ . لا أدرى ما الذى أضحكه . سخر قائلاً :

- ولماذا تموت فيها وأنا موجود معك . أنا تحت أمرك .

غامت الدنيا في عيني . كان البكاء لا يفيد معه . جريته طويلاً معه . شعرت بأنى قشة في مهب الريح . أردت أن أرفع ذراعى في وجهه محتجاً . لكنى لم أستطع . برد فنجان الشأى أمامى . كانت السحب محملة بالغيوم . تمنيت أن تمطر كثيفاً ، حتى أكفر عن ذنوبى . أردت أن أنسحب ، دون اعتراض فأوقفنى بلكمة خفيفة قائلاً :

- إلى أين ؟

قلت :

- أريد أن أتففس هواء نقياً .

قال :

- ألا تعجبك هذه الحديقة ؟

قلت :

- تعجبني جداً ... ولكن .

نزلت بعض قطرات من السماء فبلت روحى المتعبة . همست ... إني لا أنساك ، فلماذا تصر أن تكون معى في هذه اللحظة ... دعنى أشم زهور الربيع المتفتحة ... ألا يكفيك ثلاثة أيام في الأسبوع تصاحبني وأنا راض ؟ ... روضتني

في السنوات الأخيرة أثناء هذه الصحبة الخطرة ... لست مستعداً لاستقبالك الآن ... أبذل في سبيل البعد عنك دمي ودموعي ... أشهد ذهني ، حتى أتفادى حلولك المفاجئ ... اغرب عن وجهي في هذه اللحظة أرجوك ... دعني لزهوري ... سوف أقاوم إلى آخر قطرة من دمي ... لست وحدي . كل البشر يحاولون أن يهربوا منك دائماً . أبرق بعينيهِ الناريتين تجاهي . عاود ضحكته الكئيبة . أحسست أن الأرض تميد بي . تكاثفت قطرات المطر . ومن الأفق الشرقي أبرقت السماء . أرعدت دون جدوى ، لاحظ خوفي فقال :

- لا تبتس ... جئت للاطمئنان عليك .

تعجبت من منطقه الغريب . زيارته تفرعني . مرة واحدة تكني . ضربة قاضية منه تحيلني إلى رماد ، يأكلني الدود بعدها . أحال جلسة الضحى الخلوة إلى نكد أزلي . تمنيت أن أطلق ساق للريح . ارتدى ملابسي . أحمل أوراق وكتبي ، إلى مكان آخر ، لا ينازعني فيه ، لكنني عدت وتراجعت ، فهو يستقر بيني وبين طيات أي كتاب أفتح ، يسيل على صفحة أفراسي ، يطفو خلال كلمات الأصدقاء وودهم ... يكمن في السر والعلن ... يبين بين حنايا الصدر وفي أصابعي ... يفصح عن نفسه تحت جلدي وفي عظامي ... أين أهرب منه ، هذا الصديق اللدود ١٢ . لا أعرف ... لا أعرف .

مملكة الكناكيت الفلسفية

فجأة توقف الدكتور عبد المقصود وسط مزرعة الدواجن ، عشر سنوات وهو يعيش على وتيرة واحدة . سأم هذه الحياة المملة الرتيبة . لعب بالنقود في جيب سرواله : همس لنفسه في أسى : لم تعد في حاجة إلى النقود يا دكتور عبد المقصود : رصبتك مال وفير يكفيك طول العمر وزيادة . هذا هو مشروعك الناجح يحقق أرباحاً هائلة ، ومع ذلك فإنك تعيس ، تشعر بفراغ قاس ومدمر . ما الذى حدث ؟ . هل هى نقمة تحل بك بعد زمن طويل من السعادة ؟ . ألا يبهجك صوت آلات تفريخ الدجاج ، وهى تعمل ليل نهار فى دوريات مستمرة ، لا تتوقف . هذا هو الريف الذى كنت تحلم بالإقامة فيه مدى العمر . زملائك ما يزالون فى الجامعة يعانون قرف التدريس ومتاعبه .

فى البداية كنت تسمو فوق الوظيفة . يرتفع طموحك إلى الدرى العالية . تكون أو لا تكون ، تلك هى القضية . إما أن تصبح فيلسوفاً كبيراً تغير من واقع الشرق وهمومه ، وإما أن تترك الفلسفة لأصحابها . هل تذكر محاوراتك فى الجامعة ، عندما تجلس وأمامك الميكروفون ، ثم وأنت تلقى المحاضرات على الطلبة ؟ . كانت مملكتك شاسعة . آذان الطلبة ووجوههم تتجه إليك فى لهفة ،

وأنت فرح نشوان . أين أيام أرسطو وأفلاطون . كنت حراً وسعيداً . تمتلئ أيامك بأصوات البنات والشبان المتلهفة إلى المعرفة . هل نسيت كتابك الذي أحدث ضجة في أوساط المفكرين . محنة الشرق ... مقدمات وأسباب ... كان العقل العربي راكداً خاملاً ، فإذا بكلماتك توقظ النايمين . كيف تحول تفكيرك إلى ترك الجامعة ، ثم تفرغت إلى البحث المطلق في المذاهب الفلسفية ... الوجودية والماركسية . الميتافيزيقا والمادية ... البرجماتية ... اليسار واليمين في الإسلام ... مشكلة الجبر والاختيار عند المعتزلة . ثم كيف تركت كل ذلك ؟ . الآن تقف حائراً وسط الدجاج المتلهف إلى الطعام . لم يصل الملف بعد . أولاد الكلاب تجار السوق السوداء يرفعون الأسعار . ما هذا الشرخ الهائل الذي يحدث في مملكتك الثابتة ؟ . إنك تقف في نقطة اللاعودة عارياً إلا من أحزانك وقلقك وعذابك . الماضي بالنسبة إليك مجرد تاريخ وذكرى ، أما الحاضر ، فقد حققت فيه قبة النجاح . فإذا تريد من الدنيا ؟ . إذن من العجب أن تتأدى في أحلامك الماضية . وأفاق على أصوات الدجاج المتراخمة . طالما أحب هذه الأصوات . كل صوت بيضة ، وكل بيضة بكتكوت ، وكل كتكوت بقرووش في جيبه . مرّ على بيوت الدجاج ، ورأى أكوام البيض مدفونة في القش . العمال مشغولون بجمعه ووضعها في الحضانات الكهربائية . في كل صباح له جولة اطمئنان على كل شيء . أصبحت لديه خبرة ممتدة بأمراض الدجاج وتربيتها . يعرف الضعيف منها والقوى . يدرك العلف المخلوط بنشارة الخشب من غيره . الطبيب البيطري وراءه ، وشمس ينائر تدخل الدفء إلى جسده ، لكن عقله يغلى من الداخل . كيف تحطمت أحلامك يا عبد المقصود ؟ . ضاعت روحك من الزحام . كنت تسير في الشانغ مفلساً ، لكن عقلك غنى بالأفكار الخصبة . ما أحلى أيام الأمل المشرق .

ع بمهارة غربية في نهر الإنسان وتاريخه . تتقمص شخصيات الفلاسفة
تركاتهم وسكناتهم . تبحث في جذور نشأتهم وتطورهم وتأثيرهم . كان
تضع بصمة على تاريخ الفلسفة في الشرق ، فإذا بك تنتج آلاف
اليوم . وليتك تخصصت في تاريخ الطيور وأمراضها وانتاجها . ومع
طلعت الفلسفة بالطيور في لعبة فاسدة . وقال للطبيب البيطري :

بل في تأخر العلف ؟ .

يبيب :

من أن نشترى بالسعر الجديد .

كتور عبد المقصود :

ن الدجاجتين اللتين عزلناهما بالأمس ١٩ .

يبيب :

ستمر في عزلها حتى نتبين الحالة جيدا .

المقصود :

الكتاكت الجديدة ؟ .

يبيب :

زيادة الدفء في الشتاء .

بببب :

ملت الماكينة الجديدة ؟ .

يبيب :

سلمها بعد أسبوع واحد .

المقصود :

.. وكمية البيض بالأمس ؟

قال الطبيب :

.. خمسة آلاف بيضة .

وترك الدكتور عبد المقصود المزرعة عائداً إلى البيت . استرخى على مقعده المريح . أفرغ كأساً من الويسكى .. ووضع عليه الثلج .

هذه هي حجرته القديمة التي يحبها . لم يغيرها منذ أن كان مدرساً بالجامعة . مازالت بها روائح أفلاطون وأرسطو وكارل ماركس وابن رشد والفارابي . قام وأمسك بمؤلفه القديم . قرأ الإهداء .. إلى كل الذين يحبون الشرق ويريدون تغيير حاله .. الفصل الأول .. إلى من يهمهم الأمر .. والثاني تنويعات على لحن واحد ... الخروج من الأزمة .. الخاتمة والخلاص .. لم يقرأ كتاباً في الفلسفة منذ عشر سنين . ماذا جرى لك يا عبد المقصود . هل ما يزال العقل العربي كما تركته ؟ من هو أهم فيلسوف عربي الآن . لم يستطع أن يجيب بشيء . لا يهم . كلنا في الجهل شرق . من بعدك يمسك الدفة ؟ . وعند أول رشفة من كأس الويسكى ، همس والإحباط يشمله : دعوني في حالي يا ناس ... ضعت والحمد لله منذ عشر سنين . هذه البيئة لا تصلح لفيلسوف مثلى . أنا اليوم دجاجة وآلة تفريخ ، وقطعة من العلف ، أدوخ في البحث عنها بالسوق السوداء ... وكل ما عدا ذلك فهو قبض الريح . وحدي أم الآخرون . طظ في الفلسفة إلى الأبد .. ولتحيا الكتابات الذهبية .. هذه فلسفتي وكفى .. وجاءته ضجة أصوات آلات التفريخ المختلطة بصوت الكناكيت ... وكان يفرغ بقية الكأس في جوفه ... وقال وهو يتشم ساخراً : .. لا بأس أن نكرر ... أن نكرر ... عاشت مملكة الكناكيت المنلسية ... ولولاي حين .

شبح المستر عبد القادر ...

في لحظة خاطفة تملك الرعب قلبي ، تصورت أن المستر عبد القادر قبض على عنقي من الخلف ليحوني من الوجود . المستر عبد القادر ليس عدوى ، ربما يريد أن يأخذني معه مودة وحباً ، ولكن أى نوع من المودة والحب اللذين يكنهما لي المستر عبد القادر؟ إنها مودة وحب اللوث . هرولت إلى خارج المستشفى مدعوراً أمسك عنقي . وحدى في هذه البقعة النائية تعلقت عيناى بالعربات المندفعة السريعة ، التي تتجاز الطريق . شمال لندن في عز الليل . البرد والخوف والألم . تجرأت وأحضرت مقعداً من الداخل لأجلس على « وش » الدنيا وحدى أواجه المشكلة . منذ أسبوع واحد فقط ، كنا نواجه المشكلات معاً .. أداعبه ويداعبني ، كل منا على طريقته الخاصة .

أنا مصرى ، لا أكف عن التنكيت حتى في أدق اللحظات الخطرة ، وهو بنجلاديشى ، يحاول أن يتذوق ، يحاملنى بأنه فهم التكنة . سيطرت على الرعب في داخلى . لا بد للإنسان أن يسيطر على عدوه ، أيا كان هذا العدو . تعجبت من المفارقة الغربية ... هل يعقل أن يخفى المستر عبد القادر ١٩ .. اتنى لا أفتري على أحد .. هذا حدث حقيقة .. شعرت أن يديه تنفذان الى لحم

عنتي .. ثم إلى عظامه ثم إلى خجاليا جسدى .. فى دمى وعظامى كلها . أعرف الفرق بين الوهم والحقيقة . وقد كان الموت حقيقة يتدحرج بيننا نحن الإثنين . كل واحد يقذفه نحو الآخر .. لكن المستر عبد القادر كان أكثر احساساً منى به .

فى مرة تعطلت ماكينة الكلى الصناعية الخاصة به فجأة .. كنا بمفردنا داخل مركز الكلى ... وكان من الضرورى أن يعيد دمه إلى جسده فى فترة وجيزة لاتعدى العشر دقائق .. وإلا تجلط الدم . المهم كنت أعرف ماينبغى أن يفعله .

ولكنى خفت أن أحمّل المسؤولية . انتفض من سريره قاعداً على الأرض ، صارخاً بالإنجليزية زاعقة مريرة ... أنا ذاهب لأموت . أشرت إليه أن يكون زابط الجأش . مفكراً فى حل المشكلة . فلا فائدة فى اضطراب الأعصاب .

وعلى الحشائش الخضراء فى حديقة المستشفى . كنا نسترخى فى اليوم التالى . نستعيد ذكرى الليلة السابقة ونضحك . وندردش فى أمور الحياة والموت والميلاد . فقد المستر عبد القادر قبالتى . وبين يديه ترجمة للقرآن باللغة الأوردية .. وجه أسمر بلون طمى النيل .. وقامة قصيرة ممتلئة . وعينان مجهدتان ذابلتان .. وبعض الدماجل الصغيرة الخفيفة التى تنتشر على صفحة وجهه الطيب .. يبدو أن العالم ما يزال به كمية لا بأس بها من الطيبين والطيبات . شد (قطعة) من الحشائش وهو يقول :

- كيف الأحوال ؟ .

قلت :

- لا بأس .. وأسرتك ؟ .

- ابتسم بطيبة .
- لىما ابنتى لا تنام إلا فى حضانى كل ليلة ، أعود من المستشفى .. تنتظرنى حتى الثانية عشرة أو الواحدة صباحاً .
- ما عمرها ؟ .
- قال بعد فترة تفكير قصيرة :
- سنتان .. وشهر .. وخمسة أيام ...
- قلت :
- وكم ساعة ؟ .
- قال :
- وثلاث ساعات .
- هل تحبها يا مستر عبد القادر ؟ .
- أموت فى حبها .
- وحيدتك ؟
- لا .. لىدى ولدٌ آخر .. بوبو .. عمره خمس سنوات .
- تأملته وهو جالس قبالى ، أعطيته سىجارة . أخبرنى بأنه أطلع عن التدخين ، ولكن ربما عاد إليه من جديد .. حدث ذلك له عدة مرات .

* * *

كانت رحلة آخر الليل مع المستر عبد القادر فى غاية الكآبة .. نحن الاثنان مجهدان جدا ... الجسد كله مطارق تدق بعصبية وألم .. والنفس غير تواقفة إلا إلى نوع من الراحة الأبدية ... انهار المستر عبد القادر على الرصيف ، ونحن فى

انتظار آخر أوتويس .. ضغط دمه منخفض ، كان أمله أن يصل إلى البيت ليرعى
في أحضان لهما .

* * *

رأيت المستر عبد القادر يوم الإثنين ، حياتي بضعف بدا في وجهه وفي أعماق
عينيه . لم أراه في اليوم التالي . تهربت إلى المستشفى يوم الأربعاء . لم يأت في
ميعاده . الساعة الثانية مساءً ، ما كيتة الكلي الصناعية الخاصة به جاهزة ، زبون
قديم يحرصون عليه . ينسى دائماً اختيار المياه . أقوم بالعمل تياية عنه ، غضب
منى عندما قلت له في مرة : أنت أنانى ، قال : ... إذا أردت أن تكلمنى بمثل
هذه الطريقة لا تكلمنى .. صمت لحظة .. فإذا به يسألنى ... هل ذهبت
المرضات ؟ .. أجبته بالإيجاب .. عرفت أن قلبه طيب لا يحمل حقدا ...
المفروض أن يأتى الآن .. يغرس الإبر في ذراعه .. كل منا يعرف عمله جيدا ..
يتدمر في أعماقه ويسخط ويقنط .. تنسحب روحه من صدره في بعض
الأحيان .. ولكن الروتين هو الروتين .. فإما الموت وإما الحياة .. اخترنا الحياة
بكل الصعوبات .

يتمدد المستر عبد القادر مسترخيا على سريره ، بجواره على سرير آخر أرقد
مسترخيا أيضا . الخطر يوحد بيننا ، الهواجس والظنون والخوف من المجهول في
أعماقنا . نبسم أبتسامة المهزومين الضعفاء المستسلمين . أركب (فرستى) المصرية
الأصيلة لأحلق في عالم الأمل . تتسرب حرارة الحياة منى إلى المستر عبد القادر .
يأنس إلى . في بعض الأحيان كان يسترخى على سريره قبلى ، فأداعب قدميه
بأصابعى لأغير مناخ الكتابة الذى نعيش فيه . يتسم أو يضحك ضحكة خفيفة

على قد الحال . هنا عنبر الكلى الصناعية . ياكم تبادلنا ماكيناته وسرايره كلها على مر الأيام .

حفظنا تفاصيله . إنه بيتنا الأصلي الذى نستمد منه مواصلة الحياة . لو غبنا عنه أربعة أو خمسة أيام لجدنا فى عالم الموت ... نحن والموت وحب العيال . نشناق إلى كوب من الشاي الدافئ ولكنها المدرسة الانجليزية فى العلاج طويل الأمد .. لا بد أن يتحمل المريض مصيره بنفسه .. يتعلم كل شيء .. صغيراً كان أم كبيراً .. يفكر فى كل فعل يقدم عليه . طلبت مرة كوباً من الشاي .. فقال لى الطبيب: تستطيع أن تفعله بنفسك .. قم واترك دمك فى دائرة بحيث يحتفظ بحرارته .. بعد أن تخفض سرعة مضخة الدم .. ثم عد . وابتسمت له وأنا لا آخذ كلامه مأخذ الجد . قال بجدية : إني لا أنكت .. قم واعمل الشاي بنفسك ، حتى تشعر أنك تعيش .. فلسفة العلاج أن تكون طبيعياً إلى حد كبير .. كلنا سوف يموت . تمتع بأيامك بقدر ما تستطيع .. باشر عمك العادى ... عش وسط البشر ، كلما استطعت إلى ذلك سبيلا . لا ترقد على نفسك .. كما ترقد الدجاجة على أفراخها ...

* * *

الساعة الثانية والنصف ولم يأت المستر عبد القادر . حدثنى منذ أيام أنه طلب أمه على التليفون فى بنجلادش وتحدث معها أربعين دقيقة كاملة .. ماذا قال لها .. وماذا قالت له ؟ ... لكنى دهشت لهذه المحادثة الطويلة الغريبة . لم يعد يحدثنى عن زرع كلية له ، كان دائماً يبنى النفس بزرع كلية من ابن عمته أو

ابن عمه .وكنت أسخر عابثا .. أقول له : إني متبرع لك بكليتي الاثنتين يامستر
عبد القادر .. فلا يضحك ... فالتكتة مريرة وربما سخيفة .. ولكن السخرية
كانت ضرورية . ومن لم يسخر من نفسه .. لا يستطيع أن يسخر من أوضاع
الآخرين .. يريم الصمت بيننا في الساعات الأخيرة من العملية . ينام المستر
عبد القادر بعمق . تضرب صفارات الإنذار في الماكينة علامة على أن شيئا
أصابه خلل مفاجئ .. أنادى عليه بصوت عال .. يستيقظ مدعورا .. متعبا
طول اليوم . من المكتب إلى المستشفى .. يحمل حقيته السوداء الضخمة . يخرج
منها المصحف المترجم . يقرأ فيه بهدوء . يجيء وقت . يتفوق كل منا في
داخله . لا صوت إلا (وش) الماكينة المستمر ، الذي تعودت عليه الأذن ..
وصفحات قطرات المطر على زجاج النوافذ . نستسلم للحزن والوحدة والمجهول ..
وفي الحادية عشرة تماما نفك قيودنا . نتحرر من سجننا الذي استمر سبع
ساعات .. الأمل في جديد يداعب قلوبنا . يجري أحدنا إلى المطبخ .. يحضر
البسكويت في طبق صغير . نكون جوعى ومرهقين جدا .. طعم البسكويت
للذي .. نمضغه بشهية مفتوحة . في بعض الأحيان تعرف المرضيات أننا أكلنا
البسكويت . يسألن في ظرف . من أكل البسكويت ؟ . أقول على الفور : المستر
عبد القادر .. لكنه يرد التهمة إلى .. لا .. لا .. المستر .. هو الذي أكل
البسكويت . نقفل جميع الأنوار والمياه . نخرج من المستشفى .. تهب علينا
نسيمات الحياة الباردة . يتخلف المستر عبد القادر عن خطوات .. أستحث
مسيرته . الحشائش يكسوها المطر . أسأل نفسي بغيظ : من الذي انتزعني من
عشني بجلوان ، إلى شمال لندن المتوحش . مصر وحشتني جدا ... جدا . أحن
إلى خليجات أصدقائي ، أحب قلقهم وعذابهم وفرحهم .

أعود إلى الواقع البائس . أخاف سكارى آخر الليل . أتأبط ذراع المستر
عبد القادر ، لآخذه تحت مظلي . المطر يزداد غزارة .. من يطيرني إلى أحضان
قربتي ؟ . راية النار مشتعلة ، وفي وسطها (براد) الشاي أو القهوة .
أحن إليك يا أنشاص يا حبيبتى الجميلة . فى الأوتوبيس أفترق عن المستر
عبد القادر ، لا وقت لصدقات جديدة .

* * *

الساعة الثالثة ولم يأت المستر عبد القادر . خير اللهم اجعله خيراً . غاب مرة
سابقة ، ولكنه أتى فى اليوم التالى صباحا . المشكلة أنى لا أستطيع أن أتصل
به ، ليس لديه تليفون بالبيت ، ولا أعرف عنوانه ، غرست الإبر فى ذراعى .
أوصلتها بالأنايب . بدأ الدم يتدفق إلى الكلية الصناعية ، ثم يعود إلى ذراعى
نقيا .. وقطرة .. قطرة .. أشعر بالفوقان ، السموم تصفى من دمي .. وكابوس
ثقيل .. يتزاح من صدرى وكل أعضاء جسدى . المستر عبد القادر لا يغيب عنى
نخاطرى .. عرفت أن اسمه عبد القادر مصادفة .. قبل أن يغيب عنى فى هذه
الفترة الأخيرة .. مسلم .. اسم الشهرة (بويا) .. مستر بويا .

هكذا كنا نناديه دائما .. أما الاسم الحقيقى فهو عبد القادر ... ضحكت
معه وأنا أقول له .. إنه اسم مصرى .. عربى .. ينطقه الصعايدة والشراقة عندنا
عبد الجادر .. وأهل المدن .. عبد الآدر .. لا أدرى لماذا فرحت باسم (بويا)
الجديد .. ربما لأنه أصبح قريبا منى بالاسم أيضا .. بجوار العقيدة والطيبة
والذكريات والحننة المشتركة .

.. تذكرت كل أصدقائي باسم عبد القادر .. كررت تلك الأسماء في أذنه .. كان يهمني أن يعرفهم .. إنه عبد القادر جديد في حياتي .. عبد القادر البنجلاديشي الطيب النفس .. بجوار عبد القادر الجزائري .. وعبد القادر السوداني .. وعبد القادر الليبي .. وعبد القادر اليمني .. وعبد القادر المغربي .. والأهم من كل هؤلاء عبد القادر المصري . وعفوا على هذا التعصب .

* * *

الساعة الرابعة ولم يأت المستر عبد القادر . كدت أفقد الأمل في مجيئه اليوم .. سألت الممرضات ، لماذا لم يأت المستر بوياء اليوم ؟ . قلن : لانعرف ، ثم سألتن : هل رأيته يوم الإثنين ؟ ! قلت : نعم رأيته .. قلن : هل حدثت له مشكلات أثناء عملية الغسيل الكلوى ؟ . قلت : المشكلات الدائمة .. صداع حاد في الرأس .. وانخفاض شديد في ضغط الدم .. ثم مشكلته الدائمة بعد خروجه من المستشفى ... أن يلحق آخر أوتوبيس . لم يعلقن بشيء . المفاجآت أصبحت طبيعية . وهن يتعاملن مع بشر ، نصفهم ميت ونصفهم حى . لا داعى للقلق . المشكلة مشكلتي أنا الآن . هل تدحرج الموت إليه ، وكيف ؟ .

لم يتطرق إلى عقلى هذا المعنى بسهولة ، ولكنى وجدت السؤال أمامى بطريقة عامة ، ومجرد شك بسيط أخاف أن يلمس المستر عبد القادر . فمن يبق معى فى المستشفى ليلاً ، هل يتركنى بمفردى ؟ من يسمعنى سورة الإخلاص بلغة عربية يجاهد أن تكون سليمة !؟ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أحد .. الله الصمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» .
ي على الحشائش الخضراء ندخن ، وتحدث عن مشكلات مصر
والمسلمين .

وهو يحدثني في مرة عن وسيلة لعلاج الدائم :
عدل أن يزداد أغنياء المسلمين غني .. وأن يزداد فقراء المسلمين

عدلاً ...

العدل أن تصل ثروة أحد المسلمين العرب ألفي مليون جنيه ، ولا
مثلك علاجاً مستمراً له ؟
ستر عبد القادر لحظة ، ثم قال :
صحيح .

* * *

ناية عشرة . قضيت الليلة وحدي .

* * *

ماء لم يأت المستر عبد القادر .. أيقنت أن في الأمر شيئاً .. ولكن
أعد مندهشا ، حلت الحقيقة محل الظنون والهواجس . شريط

الموتى أمام بصرى لا يتوقف .. أجندتى بها أرقام تليفونات كتبت أمام بعضها بسهولة وتآلف غريب ، انتقل او انتقلت إلى رحمة الله ... وكل ميت من هؤلاء له فى قلبى قصة أو رواية .. لكن رواية المستر عبد القادر مبعى رواية عمجية . يحاول الطبيب الانجليزى أن ينيها بهدوئه القاتل .. على نفس الحشائش التى جلسنا عليها أنا والمستر عبد القادر .. رأيتة قادما إلى فى صمت .. قعد قبالتى .. سحب سيجارة من علبة سجائرى .. أشعلتها له .. سألته بلهفة داخلية حنون :

– ما أخبار المستر بوياء .. إنى قلق عليه !؟ .

قال :

– أحكى لك من البداية ، حينما جاء المستر (بوياء) للعلاج ، كان فاقد الوعى على أثر جلطة فى المخ ، هذا بالإضافة إلى توقف كليته عن العمل . عاودته هذه الجلطة مرة أخرى يوم الثلاثاء الماضى ، نقلوه إلى المستشفى . مات فى نفس اليوم مساء . أريد أن أشرح لك بعض التفاصيل الخاصة حتى تكون يقظا . تطلعت إليه .. تمنيت أن يكف عن الكلام الآن . نظرت بعد لحظة ، فلم أر شيئا أمامى .. أحسست أن الدموع الهادئة تخنقنى . أشعل لى الطبيب سيجارة . وضعتها فى فمى . شكرته .

* * *

كانت ماكينة الكلى الصناعية جاهزة لاستقبالى .. قمت أجز جسدى المتعب . أنظر إلى سرير المستر عبد القادر الأخير . داعبته فى قدميه ، فابتسم ، ثم ضحك ضحكة صغيرة على قد الحال ، صحبته فى غدوى ورواحى .. هل

مازلت تنتظرين أباك يا ليما لتنامى فى حضنه . أو ينام هو فى حضنك ؟! .
رأيتك فى ألبوم الصور الذى كان يحمله أبوك سعيداً به ، يوزعها على
المرضات .. يقول: .. هذه زوجتى .. وهذه « ليما » ابنتى لا تنام إلا فى
حضنى .. وهذا ابنى (ببو) عمره خمس سنوات . مازلت أصطحب أباك
يا « ليما » ، ولكنى للآن لا أستطيع أن أفسر ، لماذا هجم علىّ من الخلف ، يريد
أن يحنقنى من عنقى ؟! .

مساء الخير يا بلدى

وحدى أجتز الذكريات . العاصفة فى الخارج تضرب زجاج النوافذ بقسوة . دمي خارج جسدى فى أنابيب الكلى الصناعية .

الأنابيب حمراء فاقعة جدا .. يبدو أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف لون دمه إلا إذا نظر إليه من بعيد . قلت لنفسي : أنت الآن تمتاز بقلب جسور .. لكن ماذا يحدث لو انفجرت أنبوبة من الأنابيب ؟ . سوف يسبح دمك على الفور .. إنها ليست المرة الأولى .. تمتلئ الكلى الصناعية بدمي .. قطرة ... قطرة ... وسيلاً ... سيلاً .. وتدققاً .. تدققاً .. فى المرات الأولى كنت أخاف .. بل كنت أذعر .. ثم أصابني نوع من الجراءة .. ثم اندهشت من نفسي عندما أصبحت المسألة عادية . أى نوع من العادية ؟ عادية من نوع غريب . شىء مؤلم ومفرح فى آن واحد . حقيقة مؤلمة للغاية ، وإن كان هذا الألم يتحول رويداً .. رويداً إلى ثقة بالنفس .. إلى نوع من الزهولأنى أتحمّل .

ومن صوت العاصفة فى الخارج .. ومن سيولة الدم فى الأنابيب تنبثق وجوه ... وتختفى وجوه .. هذا الوجه الكبير لا أستطيع أن أعبر عنه .. هل هو وجه مستدير .. ربما .. ملئى بالدماء والحيوية .. آه .. نعم .. ينبض بالتاريخ

القديم والحديث إنني جزء صغير جدا منه .. هو الذى يعطينى الحياة إلى الان ..
يشع النور الدائم إلى كل ذرة فى كيانى .. هل أستطيع وصفه بالكلمات ؟ عبثا
أحاول .. هو الذى يصفنى .. هو الذى يحتوينى .. يأمرنى فأطيع .. أخالف أوامره
فى بعض الأحيان .. يعتربنى الوهن المحبط فى كيانى .. أعود إليه .. أشارفه
ويشارفنى .. فتعود الحياة إلى من جديد . يعزّ علىّ وصفه .. كما يعز عليه أن
أصفه .. يفشل الجميع فى وصفه .. تكفى لمحة واحدة لأصفها .. هذا الذكاء
النادر .. نقطة دم واحدة تكفى .. ربع نظرة عين .. أو واحد على مليون ..
مليون .. نظرة عين تكفى . إنه هو .. هو .. أصلى وفرعى . طفولتى وصباى
وشبابى وشيخونحتى المبكرة .. إنه هو .. هو ، وهو أنا ، أستغفر الله .. إنه الحى
المتوارث .. ندىّ الطلعة .. حلو الخطرات .. المتألم .. هو الألم نفسه .. الصابر .
هو الصبر نفسه .. المناضل الذى يبحث عن لقمة العيش الشريفة .

أثقل على سربرى .. ضوء النيون لا قيمة له بجوار ضوء بلادى .. تكييف
الهواء لا قيمة له بجوار زمهرير بلادى .. الآن أشتاق إلى لفة هواء أعرفها جيدا
فى قريتى .. نفحة برد حتى ولو كانت قاسية ؟ أحب عواصف بلادى . هذه
العاصفة بالخارج ، لا أعرف نواياها .. صوت ماكينة الكلى يوش فى أذنى
سخيفا مملا رتيا .. كم ستمته .. لكن ما باليد حيلة ، تعطبنى الماكينة إنذاراً أن
الدم الذى يتجمع فى فم الأنابيب ليس كافيا .. أحاول تحويل الإبرة فى
ذراعى .. ذراعى الصبور . إننى أقدر ما يعانىه هذا الذراع ؟ أضع شاشاً من
القطن تحت الإبرة .. لكن إنذار قلة الدم لا يكف .. أحاول تخفيض سرعة
مضخة الدم .. حتى لا تسحب كثيراً .. ينبض الوجه الكبير فى أحد الأركان ..
ويتقل من ركن إلى ركن .. يفرش على الأرض .. المكان كله يتحول إلى وجه

كبير .. يناديني .. يتسم في وجهي .. يهمس في أذني ... أن تجلد ... أنت
مصرى .. تحمل .. لا أملك إلا السمع والطاعة .. يهون الخطر في قلبي .. أنظر
إلى دمي .. أتعجب ، كيف تواتيني هذه الشجاعة الفريدة ؟ كنت أندب
حظي ... لكنني الآن محظوظ . إنه يتحدث إليّ ، يخاطبني ، يقترب مني .. لمسة
منه تذيب الآلام .. أصل الداء منه وإليه .. يعذبنا ويشقينا .. يفرحنا
ويسعدنا .. إننا طوع أنامله ... هو الحنون . الأب والأم .. الأخ ، والصديق ،
افتتاحية لا بد منها ، حتى نبدأ الرحلة الجديدة .. يسكت إنذار نقص الدم ..
العاصفة في الخارج تندرنى .. لكنني لا أخاف .. ضوء النيون يملأ عيني .. لكنه
لا يبهرنى ، شمس بلادي هي التي تبهرنى .. بقي من الزمن خمس ساعات ...
مرت ساعة واحدة . نحن في أول عملية الغسيل الكلوي .. مازالت السموم في
الدم ... أغوص في ملامح الوجه الكبير .. يهددني .. يرعاني ، يشع على
الضوء .. أستمد منه الصبر والطيبة .. والحب .. أحاول أن أنام ملء جفوني ..
لكن القلق يعتريني .. ذراعي تؤلمني .. القيود تشدني ، تربطني .. أحب أن
أصرخ ، أحبك يا وطني .. أحبك يا بلدي .. لا ، لا .. بل أهمس مساء الخير
يا بلدي .

أريد أن أنام

كنت أحاول أن أغمض عيني لأنام . ظلت أحلق في عوالم كثيرة على شاشة الحياة والموت ، أماكن وذكريات ومعارك ووجوه بشر . جست في منحنيات ضعبة شائكة . مرت أمامي أيام القهر التي تريد أن تخنى ظهور الرجال الشجعان... كما مرت الأيام التي تصنع الإرادة والصبر والدكاء ، جعلت أحرك مؤثر الراديو ، على محطات عديدة ، دون أن أظفر بالاستقرار على واحدة منها . كنت سعيداً بغضبي وتمردى مع تسرب العافية من جسدى . استلقيت أطلب الراحة والنجاة من الحاضر ، فإذا الذكريات تصدمنى وتطاربنى . هذه الذكريات هي بيت الداء ، وهي ينبوع الفن في آن واحد .

كانت الريح تضرب نوافذ الغر الضيقة ، وثمة تيار من الهواء البارد يتسلل إلى الداخل . وليس هناك شعاع واحد من النور يخفف حلقة الليل وقسوته . قت وأضأت المصباح ... ولكن الظلام كان قويا وساطعا . أمسكت كتاباً لأقرأ . هذه الحروف هي سبب سعادتي وشقائي ، في نفس الوقت . كلمة واحدة يمكن أن تؤدى بالإنسان إلى جبل المشنقة . وعادة يبدأ معظم الكتاب بكلمة نعم ... ولكنى بدأت بكلمة لا . وسوف أظل أقول لا وأنا أعمل . في

قربى كنت أنتطلع إلى الفجر والنجوم رغم أن قدمى مغروسة فى الطين . الآن
 وحدى مع الأيام . اغتربت عن الطريق المترب الذى تحوطه أشجار الكازورين
 والصفصاف وأعواد الأذرة والبرسيم وسنابل القمح ودرنات البطاطس
 والقلقاس . غابت الرائحة من أنفى ، فأصبحت عديم المذاق . صديق الكاتب
 يحدثنى وأنا أغرق فى بحر متلاطم كالتائه الذى يريد لَمْ شمل جهاده . فقدت
 الكلمات لونها وطعمها . رميت الكتاب وأطفأت المصباح تطلعت إلى وجه
 المحبوبة فى الظلام . إني أعرف ملامحه جيدا . كان الأرهاق يكتفه . تبين على
 ملامحه آثار القلق المضمئ . همست لها فى سرى ... لا تحزنى وقرى عينا .. إننا
 لا نملك غير شرفنا وعرقنا . الكلمات وحدها لا تكفى . عرفانى بالجميل لا يقدر
 أيها المحبوب الذكى الحساس . سحبت الغطاء على جسدى . صوت المدفأة يآز
 بجوارى . هبّت على خاطرى نسمة من أرواح الأصدقاء الموقى . أنتصبوا
 يدافعون عن الحياة ، يرتدون « روب » الحمامة الذى كنت أحلم أن أزوه به وأنا
 صغير . قال كيلانى الشاعر : لست حزينا لأنى فقدت الحياة ، فأنا السيد ، حتى
 وأنا تحت الثرى ، وقف يلقى شعره ، متحديا البرد والظلام والهجوم :

يا طريق الحياة لا الشوك يثيننى لا ... ولا الصخر سوف يثنى طموحى .
 سوف أشدو فيملاً النور قلبى . ثم أمشى على رنين صداحى .
 وبشعرى أظل أستر عيى ناسجا بالخيال ريش جناحى .
 بأرياح الخريف . هبى وثورى واضفعينى فلن يشل جناحى .

وقال محبوب الفنان : .. حققت صدق وكفى . أشرق صديق الرسام بقامته
 الطويلة ، ووجهه الطيب يحطم ذرات الظلام . رسم لى صورة قط أبيض
 جميل ، ثم قال : هذا هو صديقى العزيز ، ثم رفع كأسا من الشمبانيا فى يده

وهو يهتف ... في صحة البشر جميعا . فقد على الأرض وهو يتسم ساخراً .
أخرج من جيب معطفه قلمه الرصاص ، ثم همس : هذا القلم لم يستطع أحد
أن يشتره . ضحك في صفاء بصوت عال . قال : إني سعيد . لأنى قرأت قبل
أن أموت مسرحية « ميجر بربارا » لبرناردشو . الآن أتمت قراءة أعمال العملاق
الساخر كلها .

بوتقة الحزن تكبر وأنا أريد أن أنام . شعرت بذراعى الأيسر يؤلمنى . فى
الصباح كنت خائفا ومدعورا . قبلات الإبر فى الذراع لم يعد لها مكان ، ألف
قبلة وقبلة ... وكل قبلة بمخاطرة وألم جديد . جلد الشريان كله يلتهب
باللون الأحمر الداكن . أصبح كالعقد اللؤلؤ الأبيض يريد أن يحافظ على
زمردة الحياة أصبحت هذه القبلات طابعى الأثير . هى بويضة الحياة مع
الموت معا . الأقدام مع التراجع والهرب . لو قال لى أحد أن كل هذا سوف
يحدث لما صدقته . كنت أحلم أن ألف بلاد العالم ، أحمل غطائى فوق كتفى .
أنام فى أى مكان ، وأشرب من أى مياه . وآكل من خيرات الله ، على وجه
الأرض . إن أجمل الشواطئ ، هى تلك التى لم نرها بعد ، وأجمل الأطفال
هم الذين لم يولدوا بعد ... هكذا قال ناظم حكمت . الآن طويت الأخطام .
فى مرة كنت أمشى على نهر التيمز . كان الشوق قد طال لنهر النيل . غيرت هوية
« التيمز » ، انتابتنى الرعشة . حلت بى النشوة . إنى الآن أمشى على نهر النيل .
كذبت على نفسى ، حتى أشعر بالأمان . اقتنصت الفرصة النادرة . لا يهم ...
كل الأنهار ملك للبشر . لا ... لا ... النيل لا مثيل له . كان « التيمز » فى تلك
اللحظات ثلجيا وموحشا وغريبا ، لا شمس فوق مياهه . النيل لى وحدى على
طول تدفقه من حلوان إلى القاهرة . وعند المقرن حيث يلتقى النيل الأبيض بالنيل

الأزرق في السودان . هناك مشيت وشربت حتى ارتويت . أريد أن أنام .
ازدادت سرعة الريح بالخارج . سمعت قطرات المطر تتساقط على زجاج النافذة .
أحسست بالدفع اللذيذ ، غير أن رأسي كان يزدحم بالأفكار المتصارعة . كل
فكرة تقفز متلاطمة مع الأخرى ، تريد أن تزيحها عن طريقها . وفجأة يتسلل
إلى وجه أمي على مهل . كانت تغطي رأسها بطرحتها البيضاء الأليفة . تعلى
الغضون تقاطيعها . لمست ذراعي داعية ... الله يخليك يا ابني . احتضنتها بين
ذراعي . فرت الدموع من عيني .

همست . عفوا يا أمي . لم أستطع أن أمشي في جنازتك . ابتسمت وهي
تقول .. لا تهتم .. أنا أعرف شعورك نحوي . جلست بجوارى على السرير .
قالت :

- هل أنت بخير؟

قلت :

- كما ترين ...

قالت :

- أدعو لك دائماً ...

قلت :

- يرحمك الله يا أمي ...

قالت :

- أنت لا تغيب عني أبداً .. أبداً ..

قلت :

- وأنت أيضاً ..

قالت :

آه لو عرفت برودة القبر...

غمغمت وأنا أزيح الغطاء عنى :

- الله يخليك يا أمى ... الموت يختلط بالحياة ...

واختفى الطيف سريعاً . طار بجناحين خفيفين ، عابراً القارات والمحيطات
والجبال والصحراء ، حيث حط في موطنه الأصلي . أحسست بضيق في
صدرى . أنفاسى تختنق من ندرة الهواء المنعش . تطلعت إلى سقف الغرفة ...
فاذا به يضىء بجحروف حمراء قانية ... آه يا زمن .. أريد أن أنام . انتفضت من
السريـر ، ونزلت إلى الدور الأول . أشعلت الموقد وعملت شايأ ، ثم صعدت
مرة أخرى ، ووضعت الشاى بجوارى أرتشفه . تلملم المحبوب يقول :

- فيه حاجة ؟

قلت :

لا ... أبدا ...

قالت :

- كم الساعة الآن ؟

قلت :

- الثالثة صباحاً .

قالت :

- لماذا لم تنم ؟

قلت :

- كنت نائماً ... ثم صحوت ...

دخلت تحت الغطاء من جديد . عادت أصوات الموق في أذني . ذراعي
يؤلنى . تعب اليوم كله يحل بجسدى . هل أجرب طريقة أحد الأصدقاء حين
كان يعز عليه النوم ... كان يقول لى : إذا كنت قلقا وحزينا ، أو يعز النوم على
جفنيك ... عليك أن تكرر بعض الكلمات التافهة ، التي لا معنى لها عشرات
المرات ... كرر كلمات مثل ... ريانى يا فجل أخضر... ريانى يا فجل
أخضر... أى كلام فارغ إلى أن تنام . تذكرت نصيحة الصديق ، فكدت
أنفجر من الضحك رغم الأسى ... ولكن لا بأس أن أحاول ... لا بأس .
قلت بصوت عال : ... تنتشر القطط والكلاب والفئران في بريطانيا ... في
المطاعم الصينية في لندن ... وجعلت أكرر ... القطط ... الكلاب ...
بريطانيا .. المطاعم ... بريطانيا .. القطط .. الكلاب .. ووجدت نفسى
أستغرق في النوم .

محب من مصر

فى كل صباح كنت أترقب ساعى البريد . أتصنت على أية حركة غير عادية
 بجوار الباب ، أو من خلال فرجه . يعتربنى نشاط غير عادى لتلقى الصحف ،
 غير أنى كنت أشد شغفا لانتظار رسائل الأهل والأصدقاء والأحباب . شىء
 ما يسيطر على كل حواسى ، فيجعلنى كلى آذانا صاغية إلى كل صوت ، أو نامة
 تجاه الباب . كنت أتطلع من وراء الستارة الشفافة لأى قادم نحو البيت أو
 أمامه . وكانت الرؤية تختلط فى عيني بعض الأحيان ، أرى أحد القادمين ،
 فأستبشر خيراً ، حتى إذا ما اقترب ، اكتشفت أن عيني خدعتنى . الآن قلبى
 يدق فى صدرى دقات رقيقة حساسة نابضة بالأمل والترقب . يسرى فى دمى
 تيار من الحرارة . ما الذى يحولنى إلى هذا المخلوق المتلهف على رسالة بعينها ،
 أنتظرها بفارغ الصبر؟ ! . إنه شىء كالسحر المعتقد ، الذى لا أستطيع الفكاك
 منه . هو يحتوينى بين أعطافه ، أن أحيا من جديد ، على قراءة سطور رسالة
 قادمة من أرض الوطن . والغريب أنى ضجر ، ويشملى الضيق ، من أحوال
 كثيرة ، تحدث هناك ، فما سبب هذا الهيام الذى يعذبنى كل يوم . إنه هيام من
 نوع غريب ، متضخم العواطف والمشاعر ، إلى حد الانفجار القاتل . فى تلك
 اللحظة أندفع المظروف الصغير كالطلقة النارية من فرجة الباب . قفزت درجات

السلم فى سرعة فائقة . قلبى قبل قدمى ، عينائى تسبق جسدى . أصبحت فى ثانية واحدة ممغنط الروح والجسد ... وخطفا قبضت على المظروف ، كما لو كنت أمسكت سمكة من البحر ، تريد أن تفلت منى . لم أصدق عينى . ها هى الرسالة التى انتظرتها طويلا . دخلت من الصلاة الصغيرة ، وجلست على أحد المقاعد والكلمات بين يدى . عنوان المظروف مكتوب بالحروف اللاتينية على قد الحال . وبالكاد قرأها موظف البريد ... شكراً له على مهارته ، فى فك الرموز المستعصية .. فتحت على مهل . القاهرة فى ... ثم .

* * *

شقيقى العزيز عبد العزيز ...

منذ فترة طويلة لم تكتب إلينا . نحن مشغولون عليكم . نتمنى أن تكونوا فى خير وسعادة وعافية من هنا للجميع يهدونكم عاطر التحية والسلام . وعلى فكرة سمية تزوجت ، وسوف تنتقل مع عريسها إلى الأسكندرية ، فهو مهندس زراعى . أما «مها» فما زالت تؤدى الامتحانات ، ولا تنام إلا فى الساعة الثالثة صباحاً ، ومن هنا فإن البيت فى حالة طوارئ . وعصام يقيم بمديرية التحرير ، ولا يأتى إلا كل شهر مرة . ومن حسن حظّه أنه يأكل الدجاج كل يوم ، فهو يعمل فى محطة تربية الدواجن هناك . وقد ذهبنا فى العيد إلى قبر المرحومة الوالدة ، وقرأنا الفاتحة ، ووزعنا ما فيه القسمة ، على الفقراء . وقد أخذناها مشياً على الأقدام من الأمام الشافعى إلى السيدة زينب .

شقيقى الغالى ...

سمعنا فى نشرة الأخبار عندنا أن العواصف تجتاح بريطانيا . ربنا يستر .

عمك باع ربح فدان ليني بيتا للعائلة في أبو كبير ، حتى تتجمع فيه أثناء المناسبات . هل تتصور أن المتر المربع أصبح ثمة عشرون جنبها . المهم كيف أحوالك العامة والخاصة ؟ وحشتنا جدا والله .

كل أصحابك هنا بنحير وسلام ويهدونك أجمل تحية ... محمد عبد الحميد ، والشيخ حنفي ، ومحمد حسن عامر ، والحاج عبد العال الشاذلي ، وأيضا أهل شبرا وانشاص وحلوان وامبايه والزيتون والدقي وفاقوس .

نرجو أن تحدثنا في رسائلك القادمة كيف تعيش في لندن . وعلى فكرة تهاى تريد أن تحضر لزيارتكم لولا أنك تعرف أن اليد قصيرة ، والعين قصيرة . إنها الآن تذكر الأيام التي كنت تحملها على كتفك وعمرها لا يتعدى الأربع سنوات . هي الآن تحضر لدرجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية . وأمينتها أن ترتدى الروب الجامعى ، لتصبح أستاذة جامعية ، وحجادة ابناك كبير ، وهو ينطق الآن ماما ... بابا ... وجدو ... وعمو . هل في لندن مصريون كثيرون ؟ وما أخبار صحتكم ؟ إننا ندعو لكم في كل صلاة . وماذا تم في مسألة زرع الكلية ؟ وقد ذهبنا في الأسبوع الماضى إلى انشاص حيث أكلنا الفراولة هناك . وكان الغداء ملوخية بالأرانب . وإن شاء الله سوف نرسل إليكم بعض الجبن القديم . ونخبرك بأن الدكتور عبد الرحمن التحق بالجيش . وقد كسبت ابنة خالتك كريمة ألى جنبه ، من شهادة الأستمار التي اشترتها بالمصادقة منذ عام . وهي تنوى الحج ، وتجديد أثاث البيت من المبلغ . وأما بخصوص الملابس القطنية التي طلبتها ، فقد بحثنا عنها في محلات القطاع العام والخاص فلم نجد ، ولا تنس بأننا اجتمعنا يوم الجمعة الماضى في بيت عمك حسنين . وكان طعام

الغذاء فتة وملوخية وسلطة خضراء . وكان ذلك بمناسبة خطوبة منى ، صغرى بناته إلى محمد عبد الرازق ، وهو يعمل أمين شرطة فى نقطة وسط القاهرة . وهو شاب ظريف وهادئ ، كريم ، يحب الضحك . هذا وقد أحيل خالك حسن حملى إلى المعاش ، ولكنه يشرف على دار حضانة للأطفال ، ليقضى بها وقته ويتسلى . ويؤسفنا أن نخبرك أن عمك إسماعيل توفى بالسكتة القلبية ، وهو يصلى المغرب بالبيت . وأحب أن أخبرك بأن إجلال زوجة ابن أختك الدكتور عبد المنعم أنجبت بنتا لطيفة سموها دنيا . وأيضا فإن سعاد الشغالة أنجبت توأمين ولدين . وزوج سعاد قد تاب الله عليه ، فلم يعد يدخن الخشيش ولا يأكل الأفيون ، وقد انتقل من وظيفة كبير السعاة ، إلى مساعد كاتب بأرشفة الإصلاح الزراعى ، لأنه تعلم القراءة والكتابة . وهناك خبر سار أيضا ، فإن الشيخ محمد عبد الحميد ، والشيخ حنفى ، قد عينا بالمسجد بانشاط بعد أن انضم المسجد ، إلى وزارة الأوقاف . وهما الآن من أصحاب المعاشات بعد عمر طويل . وقد أعطت الأرض هذا العام محصولا وفيرا من الفراولة والبطيخ والقمح والقلقاس . ومازالت شجرة المانجو التى زرعته موجودة وتطرح كل عام . ويؤسفنى أن أخبرك أن نائب العمدة الرجل السمين ، أخذ حقنة خطأ . فتسمم جسده ، ومات بعد يومين فى المستشفى . وفى الختام أرجو الا تقطعوا الخطابات فنحن مشغولون عليكم .

شقيقك المخلص

« محمد عثمان »

* * *

الآن أنفَس من أعماق صدرى . أستريح . أمسكت الخطاب من البداية ،
وقرأته مرة أخرى . لم أكن أمل النظر الى حروفه . إني أعرفها جيداً ، منذ أن
كنت صغيراً . كان أخى يعلمنى الكتابة والقراءة ، فى كتاب المحفوظات ، يزهر
بى عندما أترنم :

مصر العزيزة لى وطن
وهى الحمى وهى السكن
وهى الفريدة فى الزمن

وآه من الأحوال... كم تغيرت السنوات منذ نشيد المحفوظات إلى وقتنا
الحاضر. كبر الطفل ، واستوى صيباً ، وأدرك شاباً ، ووعى وهو رجل ، أن له
وطناً عربياً أكبر . لكن ذكريات الطفولة لا تمحى أبداً . هانذا فى لندن .
ما أحلّى كلمات القاهرة وليالى القاهرة . على النيل كنا نسطى بالترمس والفول
السودانى والحلبة الخضراء . وفى مقاهى الحارات والشوارع نجهد من المناقشات
الحامية . كان الوطن فى خطر . وكنا نتسابق من منا يرتدى زى الفدائيين قبل
الآخر؟ . ومن جديد كان ينبوكل شىء وهمد . نعود إلى الملل والإحباط ،
ليس هناك من ينقلنا من ههنا وكآبتنا غير الكلمات . نسبح فى بحر القهر
واللامبالاة . العلاقات العائلية لا تشبع الروح . العمل يدور بين جدران أربعة .
الآن أعود إلى أصلى . ها هى الكلمات تصلنى من القرية ، لا بد أن أرد عليها ،
قبل أن يعتربنى الوخم . الأيام تجرى ونحن لا ندرى ، كما كان يقول لنا مدرس
اللغة العربية أصبحنا الآن محصورين فى ثقافة مغايرة لثقافتنا ، علينا أن نأخذ
منها الأفضل ونترك الردىء ، لكنى أشتاق إلى أشياء معينة لا أجدها هنا . صباح

الخير لها طعم آخر غير تلك نقولها في القاهرة . أبن السلام عليكم ، أو الله يعطيك العافية .

* * *

وتمر الأيام وأدس رسالة الشقيق في حافظتى . كنت أشعر بالذنب . وفي ليلة كنت أفكر ... هذه الغربة تفرض علينا الكثير ... كنت في قريتي أردتني جلباباً ريفياً بسيطاً ، أقعد وسط الحقل ، تحت شجرة الصفصاف ، وفي يدي كتابي أقرأ ... أشرب من ماء النيل ، وآكل من خيرات الله . ما علينا ، لا بد أن أرد على رسالة الشقيق .

* * *

شقيقي العزيز محمد ...

قبلاقي وأشواقى ، لا تتصوركم فرحت بكلماتك في هذه الغربة القاسية . أتمنى أن تكون جميع العائلة ومصر كلها بخير . إننا هنا نذكركم في كل لحظة . اشتقنا إلى عواطفكم الدافئة . ما كنت أحسب أنى سوف أبقى في هذه البلاد ، هذه المدة الطويلة ، ولكن إرادة الله هي التي ترتب كل شيء .. وآه من الظروف التي مرت بنا هنا . أقول لك بصراحة ... إن أقوى الرجال يعجز عن تحمل ما تحمّلنا ... إن ثريا كما تعرف ، لم تمر بها تجارب كبيرة قبل هذه التجربة ، ولكنها رفعت رأسها ضد كل العواصف الهوجاء . كانت وما تزال تتصرف بذكاء وإصرار غريب ، لتدافع عن حياتنا . أتمنى وما أتمنى على الله الكثير أن يعطينا نفاذ البصيرة دائما . أنا أكتب لك هذه الكلمات وأمامى حقيقة بيتنا الخلفية . ها هي الورود تفتتح في عيني ، كل شيء ملون بالأخضر هنا .

لندن ليست مدينة الضباب والمطر . هل تذكر بساتين انشاص الخضراء ؟ . إن الملك فاروق ، كان يريد تلك البساتين مثل حدائق بريطانيا الفسيحة . ترى الملك هنا ، منذ أن كان أميراً غصا ، تفتحت عيناه على حب الحياة البريطانية . الآن ذهب كل شيء ، ولم يبق من الملك إلا التاريخ ، وعظامه المدفونة في مصر . دعك من الماضي وذكرياته . لقد فرحنا بالبطاطس المصرية هنا فرحا شديداً ، لأن طعمها للذيذ . في بعض الأحيان أسير في شارع أوكسفورد ، فأتوهم أني أسير في شارع فؤاد . على أن مايجزني جموح ابنتي صفاء فهي مازالت تتأرجح بين الحضارة الغربية وأصلنا الشرقي . هل تذكر يوم أن حملتها بين يدي لأول مرة بعد ولادتها بساعات . إنها الآن شخصية ، تتحدث الانجليزية . تسبب لنا عذاباً لا نستطيع تحمله . بالأمس دخلت البيت وفي هدوء شديد قالت : سوف أترك البيت ، لأقيم وحدي . وفي اليوم التالي وقفنا جميعاً نودعها على عتبة الباب . كانت تحمل حقيبتها باليد اليمنى . تبادلنا النظرات . نكسنا رموسنا في لحظة واحدة . يا له من وداع لم يطرق خيالي لحظة سابقة ، لكنه حدث . كانت الدنيا تمطر . فردت صفاء مظلتها فوق رأسها . وكان آخر ما رأيته منها ، هو كتفها الأيمن مع جانب من رأسها . ولم يبق منها سوى ذكريات إحدى وعشرين سنة من عمري . في تلك اللحظة يا شقيق محمد ، تجمدت دمعتان ساختان في عيني ، وددت لو انحدرتا على نخدي ، حتى أستريح وأبكي ، لكن للأسف توقفت الدمعتان الحارتان في عيني . لم أكن أعي ما حولي . تهت في الزمن الماضي . كان عمر صفاء آنذاك خمس سنوات ، تتلحرج ورأى عند عين حلوان في الخلاء . أنا وهي وحدنا . وقتها كنت قد فرغت من قراءة رواية نجيب محفوظ « الطريق » . وكان يلذ لي كما كان بطل

الرواية يتحدث في الخلاء ، باحثاً عن أبيه ... اشتقت لك يا سيد يارحيمي ..
 اشتقت لك يا سيد يارحيمي ... كانت هي تقف بعيداً ... ثم تجيء إلى
 تجرى ... وتقول نفس الكلمات ... ونفس النداء .. هل تنقلب اللحظة النقية
 الجميلة إلى واقع كئيب أعانيه ؟ . كنت أريد أن أحدثكم عن لندن كثيراً . هذه
 المدينة الجادة العابثة الجميلة المتجهمة . منذ أيام قابلت بالصدفة في شارع
 البيكاديللي محمود شكوكو . جريت إليه أسلم عليه . فرحت به جدا . لا أنسى
 أول مرة سمعت له مونولوجا ، « آه م الأسعار ، حتولع نار عند التجار ... آه م
 الأسعار . » ذكرته بالمونولوج الشهر ... فضحك ضحكته الصافية العالية وهو
 يقول ... ياه ... دا كان زمان قوى ... أيام النحاس والوفد أظن . وصمت
 هادئاً ، ثم انفجر ضاحكا مرة أخرى قائلاً ... كانت أيام ... وقال لي : نجب
 نتعرف . قلت له : أنا نجب من مصر .. غريب في لندن . قال : معהלش مسير ..
 الغريب يرجع بلده . وفي آخر الشارع واجهني شحاذ يطلب حسنة ...
 ابتسمت ... إنه يتحدث الانجليزية ...

وأخبرك بأني موضوع على قائمة انتظار زرع الكلية . من يدري ... إنها فرصة
 نادرة قد تحدث ... من يدري ؟ . تقلبت على اللظى بعد قراءة رسالتكم .
 كنت أترنم بيت الشاعر العربي القديم :

أسرب القطا ، هل من يعير جناحيه
 لعلى إلى من هويت أطيرو ؟ ١ .

أريد أن أحتضنكم جميعا في صدري ، ألسكم ، أتمسس أياديكم
 ووجوهكم وأعينكم . أشم رواشحكم عن قرب ، أترثر معكم ، أصمت

معكم ، أحزن معكم ، أفرح معكم . أريد أن أسبح في نهر مودتكم . انت
تعرف أنى إنسان عاطفى . . وفى الختام قبلاتى ودمت لشقيقك المخلص .

« عبد العزيز عثمان »

* * *

نسيت أن أقول لك أنى كتبت إليك هذه الكلمات من حجرة صفاء
الموحشة . إن كل شىء على حاله ، كما تركته ... الكومودينو وزجاجة عطرها
ورائحتها ... وأنفاسها الحارة ، لم تضع بعد من عقب المكان ... حتى بقايا كوب
الشاي لا يزال بجوار سريرها .

حلم ليلة شتاء ...

ظلت الريح تضرب النوافذ ضربات متلاحقة مجنونة . وكانت الأمطار
تتسرب على الزجاج في خطوط غزيرة مقهورة . وبين الحين والآخر تتقاذف
السنة لهب البرق حبات المطر المتناثرة . تصك أذني هزات الرعد الخفيف ،
فأنكمش إلى سريري . وحدي في شمال لندن الغربي ، يحتويني الرعب . تمنيت ،
وما تمنيت على الله الكثير أن أفك قيودي /الأواجه تطيب جروحي . الإبرتان
تشلان ذراعي الأيسر . لم يكن هناك أحد ألجا إليه إلا الله . في الداخل كنت
أعالج وضع الهيبارين ، والضغط المنخفض ، والصداع ، وذبذبة الجسد
الواهن . وفي الخارج أدعو وأتضرع أن يرفع الله مقته وغضبه عني . كنت أهفو
لأغفو إلى النهاية . نحيوط العنكبوت تنفذ إلى قلبي . من ينقلني من همي وكآبتي
والمى ؟ . طالعني وجه الصديق الأسمر القديم . طال الشوق إلى لقائه . هو الآخر
يعيش في الصقيع ، ولكن صدره عامر بروح المستقبل . ألقى التحية ، ثم جلس
بجوارى يهمس :

- كتبت قصيدة شعر جديدة ... هل تسمع ؟ .
قلت وأنا أترايل :

- إني متعب يا صاحبي ...
قال :
- أنت تعرف أننا مرضى بالكلمات ... كل كلمة فيها الداء والدواء معا ...
وهز رأسه وهو يمسح فمه :
- هل يتغير العالم بالكلمات ؟
أشحت يدي اليمنى الحرة :
- ربما ... ربما .
قال :
- ولكن الفعل قبل الكلمة ... هل تسمعي ١٩ .
قلت :
- لا أستطيع التركيز ...
قال وهو يمسح على جبهتي حنانا ومودة :
- أتركك لتنام ...
همست :
- لا تتركني وحدى ...
وساد الصمت بيننا . علت دقات الماكينة . توقفت مضخة الدم . إبرة
الشريان لا تسحب الدم بما فيه الكفاية .
قال :
- أهذه هي التكنولوجيا الحديثة ؟
قلت :
- يرحمك الله ... ليس بعد خلقه من خلق ... أسمعني القصيدة ...

قال :

- الآن لا وقت للشعر... هل تذكر؟

قلت :

- أذكر أولاً أذكر... ليست هذه هي القضية...

وازدادت ضربات الريح عنفاً. بقايا رائحة المرضى تزكم المكان. ماكينات الكلي الصناعية ترقد مثل جثث الأشباح في منتصف الليل. قطب صديقي حاجبيه ، وهو غاضب. وقال :

- متى تنتهي ؟

قلت :

- في الخامسة صباحاً...

قال :

- يا صبرك يا أخي...

وتلملم في جلسته يجب أن يطير. تعجبت... طالما ضحكنا معا ، وبكيننا معا في حانئنا المشهورة. حاولت أن أتمس له العذر. ضايقتني وأنا في حاجة إلى صحبته. تحسست كتفه ، فإه أجده.

* * *

وعدت إلى عالمي أهفو لأغفو ، بالموت أو النسيان . قفلت عيني بإصرار . كمية السموم تتضاءل من دمي . أودعت سرى إلى خالقي . وشملتني طمأنينة هادئة . وضح الطريق أمامي . هو نفسه ، ما تعودت عليه منذ أيام الطفولة . وتكثفت لذة الألم في ذرات صغيرة حول العنق وفي الأمعاء . الآن أدخل

جنتي . شددت لجام جوادى المرهق . اعتليت صهوته الحربية . راقت الدنيا من جديد . تربصت للزمن القادم . جريت قوة الذراعين . تذوقت حلاوة الابتسام . أخرجت سيفي الذهبي من غمده . طال وقت رقاذه . بسملت في سرى . إني لست معتاديا . حسبي أن أنظف طريقى الذى تعودت عليه .

تطلعت إلى النهر الصغير ، فوجدت السمك يتقاذف ، يطفو على السطح ، ثم يغوص مرة أخرى . قطفت زهرة يانعة بنفسجية اللون . أكلت كسرة خبز ، ثم شربت جرعة ماء من زمزم ، أخرجت شوكة قديمة من قدمي . صهل الجواد ، فازدادت حلاوة الإقدام والمغامرة في روحى . ثم عدت وهمست ، العفو عند المقدرة أفضل . ورتلت : فإذا الذى بينك وبينه عداوة ، كأنه ولى حميم ، ولم أكمل . انطلقت رصاصة وراء أذنى مباشرة . إذن لا مفر من القتال . من أين جاءت الطلقة ؟ . ولوحت بسيفي فى الهواء . هل من منازل ؟ لكنى لم أر إنسانا أو جنا فى الساحة الخاوية . شددت لجام الجواد ثم أرخيته . فاندفعت حوافره تسابق الريح . حلقت خفيف الوزن ... أغنى ... أيها الأندال ، هل من مقاتل ؟ .

* * *

وفتحت عيني على إنذار الماكينة المجهدة . ما تزال الريح تضرب النافذة ، وقطرات المطر تتساقط على الزجاج . عالجت الخطأ ، فدارت مضخة الدم من جديد . كبا جوادى ، فقمتم أركض لأستعد للسرعة القادمة .

بیان

طرقوا الباب عليه . لم يستطع أن يفتح لهم . ظل ممدداً على سريره ، مقيد الذراعين . زادوا من عنف الضربات . سأل :

- من بالباب ؟

قالوا :

- نحن .. أنت تعرفنا جيداً .

تخبر في نفسه . منذ وقت بعيد ، لم يطرقوا بابه . تركهم هناك لينجو بنفسه . كيف يلاحقونه في هذه الغربة . ألا يكفي ما يقاسيه من عذاب ؟ . فك أسر ذراعه اليسرى . ترايل ، وهو يحاول أن يفتح الباب لهم . لم يعد يقوى على رد الهجوم . أترعت روحه بالمرارة الشديدة . كيف يجروون على اقتحامه هكذا . إنه عديم الثقة بهم . تاريخ طويل ، وهم يدلسون عليه . أيام كان في كامل صحته ، يراودونه عن شرفه وأصالته . لم يكن أمامه إلا القصاص يكتفها ، يطرد عن روحه هذه الشرور . الآن يعاودون المحاولة . هتف دون أن يسمعه ... ابعدوا عنى أرجوكم .. ابعدوا عنى ... دعونى فى حالى .

نظروا إلى وجهه الأصفر ، فقالوا :

- جئنا لنطمئن عليك ...
رد عليهم في العنن :
- شكراً ... شكراً ...
وفي سره :
- بثت بها من زيارة للاطمئنان !
فهموا قصده ، فقالوا :
- رجعت إلى عادتك القديمة .
قال :
- وماذا أستطيع أن أفعل ؟ .
قالوا :
كن صريحاً معنا نكن صرحاء معك .
قال :
- لم أكن غامضاً في يوم من الأيام .
نظروا إلى الدماء النازفة من جسده ، والعائدة إلى
- قلوبنا معك ...
- شكراً ... شكراً ...
لم يكن الموقف قد اتضح بعد . فهم يلفون ويدوروا
يخاف ، ولكنه لا يريد أن ينهار أمامهم . من خبرته مع
منهارا وكاذبا ومنافقا وأفاقا . ومن خبرتهم معه يعرفو
جلسوا حول سرير مرضه :

- نحن معك إلى النهاية ... اطلب ما تشاء . نحققه لك
قال في العلقن .
- جميلكم سابق .. إني عاجز عن شكركم ...
وفي سره :
- دعوني لحالي ...
- أخرج أحدهم بياناً من جيبه ، قال :
- جنناك اليوم لتوقع هذا البيان ... هل تقبل ؟
قال :
- أقرأه في البداية ...

مد الزائر يده إليه بالبيان . اقترب من سريره . ذعر حين نظر إلى عينه الحادتين .
كان وجهه يشع برعب غريب . تشحج جبهته بندوب عميقة الغور . في صوته .
بحة كثيفة المرعى . لم يستطع أن ينظر في سحنته . خبيث هو وشريير . مهندس في
سحق الأرواح البشرية . تناول منه البيان . كان مكتوباً بخط أنيق واضح ...
على ورق ملون ... نحن الآلاف .. نؤيد خطواتكم .. نفديكم بالأرواح ..
جنودكم على الطريق ... بالدماء تقدم . قال في سره : هذا هو البيان الواحد بعد
الليون ، دون جدوى وسوف تجيء بعده بيانات أخرى .

كان الزائرون يتقلدون الأوسمة والنياشين ، يضعون القرنفلات الحمراء في
عراوى معاطفهم ، معطرى الصدور ، يتبادلون الود . ينزوى هو في سريره ،
مشتاقاً إلى الشفاء ، وليس هناك من شفاء . مرضه الأكبر لم يكن جسده ، وإنما
كان المرض الذى يريد هؤلاء الزائرون المفاجئون أن يفرضوه عليه ، أن يوقع على

بيانهم . هويته ليست أن يوقع بيانات ، وإنما أن يخفف من آلام الناس ، وأن يخفف الوطء حيناً يمشی على الأرض ، وأن يأكل من ثمارها مباشرة ، وأن يجب الناس والدنيا جميعاً . ويا ليت بيانهم يتضمن حقيقة واحدة تقطع يده إذا ...

قدموا له فاكهة الزيارة ... عنب وموز وتفاح وأناناس ...

قال لهم في العلن :

- أشكركم كثيراً ...

وفي سره :

- فاكهتي هي حريتي ... بثست بها من فاكهة هذه ، مغتصبة من قوت الفقراء .

الآن العين في العين ، يعيش في قلب التحدى . ينزف من الداخل والخارج معا . دماؤه الحقيقية تسيل في دورتها ، يعرف كيف يسيطر عليها بعد جهد جهيد . لم يعد يخاف خطورة هذه الدورة ، الخوف من دورة هؤلاء الزوار . هبت بعض النسبات . طار طرف معطف أحدهم ، فظهر خنجره ، من تحت المعطف . لم يصلوا إلى درجة التهديد بعد . ما زالوا في دور الترغيب والمساومة . ووقع يا عزيزنا على البيان .. نحن معك .. لن نتخلى عنك أبداً .. نتحمل مسئوليتك كاملة . هل توقع أم لا ؟ سأل أحدهما .

قال :

- دعوني أفكر .. أعطوني فرصة ...

قالوا في صوت واحد . على مهلك ... ليس وراءنا شيء نتعجل أمره . حسبنا أن تفكر جيداً . هذا بيان للناس ، يهمنى الناس جميعاً . أراد أن يقدم لهم تحية الضيوف ، فلم يستطع ، مكبل بقيوده . كريم الطبع ، لكنه لا يقدر على الحركة . اعتذر لهم :

- عفوا ... لا أقدر أن أقدم الشاي أو القهوة .
قالوا :

- شفاك الله ... ما جئنا نشرب قهوة أو شايأ ... جئنا للأطمئنان عليك .
انتزح الفرصة وقال :

- وإمضاء البيان ... هل من الضروري أن أوقع عليه ؟
ضحكوا ثم قالوا :

- نحن نفضل أن توقع .. نفضل أن توقع ... هل تفهمنا ؟
قال :

- ولكن معركتي ليست في توقيع البيانات اليوم .
قالوا :

- نفضل أن توقع ... وقع يا أخى واخلص ...
قال :

- معركتي ضد الموت ... هل تفهمون ؟
قالوا :

- دعك من هذه النعمة القديمة ... نفضل ألا تتعرض لمتابع جديدة ...

تمدد على سريره وراح يعالج نزيفه . عظامه تؤلمه . يتطلع إلى دورة الدماء فيتعجب . كيف أمكنه السيطرة عليها ؟ . أراد أن يشرح لهم هذه المعجزة الطبية

التي يمارسها ، ولكنه فضل السكوت . تركهم لذكائهم وغبائهم . يفهمون أو لا يفهمون . حسبه ألا يتعرض أحد من أعدائه قبل أصدقائه لتجربة المرض . ليس من بلده وحدها ، وإنما على وجه الأرض كلها . يجب أن يكون مصرع العدو في ساحة حرب عادلة مشروعة ليشهد التاريخ . سمت إنسانيته فوق الندالة والمؤمرات والتشفي والأحقاد الصغيرة . تمنى أن يبادلوه محبة بمحبة . ومودة بأخرى ، ولكنهم يرفضون المواد والحب . يملوهم أن يلغوا في كرههم وحقدهم ... تتطلع إلى وجوههم المتحفزة ، فامتألت نفسه رثاء لهم . يا حضرات الأذلاء متى تصبحون سادة أنفسكم ؟ . وإذا أردتم أن تكونوا عبيدا ، هل من الضروري أن تجروا الآخرين إلى ساحة عبوديتكم ؟ . لم ينطق بكلماته ، فالخناجر تحت معاطفهم ، وهم مستعدون لاغتتيال مخالفهم في الرأي . شعر أن الملقى على سرير المرض أقوى منهم . إنه يسبح مع الفقراء في نهر واحد ... تشع من عينيه قرينه عند أحضان الجبل . حقوها وسوقها وناسها . وطريقه الذي لا يجيد عنه . كم أوحشه هذا الطريق وقت العودة من الحقول ! . الفلاحون معفري الجبين . وأيام حصاد الفول السوداني والقمح والأذرة والفراولة . وظلال الأشجار تنام على مياه الترعة الصغيرة . والخراف والكلاب وراء قافلة الحصاد . وأمسيات الضحك والمواد الحميمة . هؤلاء زوار الغربة يريدونه شجرة بلا جذور . لجأ إلى القرآن يستعيذ به من الشياطين ... قل لا يستوى الأعمى والبصير . ولا الخبيث مع الطيب . وشتت في رأسه الأفكار ... فأخضع الجسد الواهن لها . لن يوقع البيان ... وليكن ما يكون . فرت الدموع من عينيه . وقفوا جميعا يحيطون به .

- ما الذي يبيكيك ؟ .

قال في العلقن .

- لا شيء .. لا شيء ..

وفي سره :

- إن الدموع تطهر الإنسان .. لا بأس أن نبكي لحظة أن نتمسك بأفكارنا ...

قدموا له جرعات الماء . تقبلها شاكراً . أزدادت دموعه سيولة . من عادته أن يبكي كلما التقى الإنسان بأخيه الإنسان . ما كان يجب أن يبكي في حضرتهم . هؤلاء باعوا أنفسهم ، ويريدون أن يبيعوا الآخرين أيضا . هو يصمم ألا يبيع عواطفه أو أفكاره ، مهما كان الثمن . قال في همس :

- أيها السادة لن أوقع البيان ...

سمعه أحدهم :

- كيف ... أنت مجنون ... لدينا توقعات كثيرة ... فكر يا مجنون .

قال :

- أنا أعرف أصحاب هذه التوقعات ...

قالوا :

- ماذا تعني ؟

قال :

- لا أعني شيئا ... معركة ضد الموت ... وليست ضد ... هل تفهمون ؟

وكاد أن يفقد وعيه . نزل ضغطه إلى درجته الدنيا . لم يعد يسمع أصواتهم . استراح على وسادته . غاص في بئر مظلم من اللاجدوى . رأى جثث الموتى في صفوف متراصة . انتابته قشعريرة مفاجئة . من لم يمت تحذ السيف مات بغيره .

ليته يموت بجد السيف . لا يجب أن يموت على سرير المرض ، أمله أن يموت في ميدان القتال ، وسط اللهب المحرق ، وطلقات الرصاص ، ودوى القنابل ، يحارب المستغلين والمرشدين والأفاقين وجها لوجه . الوقت ليس مناسباً لمعارك هامشية .

وانفتحت له طاقة القدر . دخلت عليه زوجته وولده . انتفض من الفرح . أشار إليها يعرفهم بها .. هذه زوجتي قر... وهذا ولدى لطيف ، وهؤلاء زوار من البلد جاءوا للاطمئنان يا قر..

قالت قر :

- أهلا وسهلا .. كيف أحوال البلد ؟ .

قالوا :

- بخير .. كلهم يهدونك السلام .

قالت :

- وبيتنا في زاوية .. ؟

- كما تركتموه ... ينتظر عودتكم ...

- ولكننا لانستطيع العودة قريبا ..

- نرجو أن تعودوا بخير .

قال :

- للضرورة أحكام ... ليتنى أعود هذه اللحظة .

قالوا :

- يا مدام ... نحن نريد أن يوقع البيان الذى جئنا به من البلد .

قالت الزوجة :

- أى بيان ؟ .

قالوا :

- هو يعرف ما نريد جيداً ...

من خبرتها تعرف ما تحويه البيانات . لا تنسى عندما زارته مرة منذ سنوات في معتقله . أحضروا لها بياناً ليوقعه حتى يفرجوا عنه . كان مضمونه أن يتخلى عن الوقوف بجوار الفقراء . رفض التوقيع ، فبقى في معتقله . إنهم يعاودون المحاولة من جديد ، الاستنكار من جديد .

هى تعرف زوجها . لن يستنكر الوقوف بجوار الفقراء ، حتى وهو على فراش الموت . ما أهمية توقيعه الآن ؟ . هو ذاهب إلى الموت ، ما أقسى أحكام هؤلاء الزائرين ؟ . ألا تكفيهم توقيعات الأصحاء ؟ . يريدون توقيعات ...
ووضعت زوجته يدها فوق جبهته . كانت باردة تماماً . حركت ذراعه . فلانت معها اللدراع . أشارت إلى ابنها أن يترك المكان .

دفع الفضول الولد الصغير ليسأل :

- ومن هؤلاء يا ماما ؟

قالت :

- هؤلاء زوار من البلد يا حبيبي .

قال :

- جاءوا ليحضروا عيد ميلادى ...

سكتت الأم ، فقالوا :

- كل سنة وأنت طيب يا لطيف ...

وأفاق من إغماءته . زادت سيولة دموعه . جاءوا لأوقع بيان الاستنكار
يا ولدى . عيد ميلادك يوم تشرق شمس الحرية والرخاء في وطنك . مازال
البيان في يده . وصينية الشاي على كف زوجته . والخناجر تحت
معاظنهم . والسؤال الملح على الألسنة .

- هل توقع البيان ؟ .

قالت الزوجة :

- اشربوا الشاي أولاً ...

مدوا أيديهم إلى صينية الشاي . ظلوا يرتشفون منتظرين . وهو يقرأ من
جديده . أستنكر بشدة ما حدث أخيراً ... ونحن جنودك إلى النهاية ... وزاغ
بصره في الحاضرين . لم يعد يقوى على الرفض أو القبول . انهارت منه
ذرات الجسد ... لكن معناه ظل قائماً ... قصف القلم في يده ... وانحنى
على جانبه الأيسر ... طلب جرعة ماء ... شربها ... ثم راح في سبات
عميق .

قدمان

في كل صباح كنا نشاق إلى رؤيتها ، نتطلع عليها من النافذة . نرتاح لطيفها . لم نكن نعرف اسمها أو عملها أو سبب حضورها . في البداية لم يشغلنا الأمر ، لكن الفضول كان يدفعنا في بعض الأحيان أن نزيد يقظتنا . امرأة ممتلئة الجسم ، يضاء تضع على عينيها نظارتين شفافتين ... في قوة الحصان ... حادة النظرات ... تدب على الأرض بخطوات ثابتة . تقف بجوار بيت صديقتها ... تتلهف لخروجها . وبعد مدة ترك الصديقة البيت مع ابنتها الصغيرتين . إحداهما في يدها اليمنى والأخرى في اليسرى . تقبلها المرأة المنتظرة ... تتسلمها .. إلى أين ؟ .. يتكرر الانتظار والقبلات والبهجة الداخلية أمامنا كل صباح . تمر الأيام . نعرف أن أم الطفلين تعمل مدرسة موسيقى ، هل الأخرى مدرسة أيضا ؟ لم نعرف اسمها وإن كانت تعلق مصحفا على صدرها . تلك كانت المشكلة وما تزال ، أن نعرف المزيد عنها . الآن لم يعد الاسم مهما . نريد أن نراها هي ، أنقطعت عن الحجيء . كان الأمر مجرد فضول . لكنه انقلب إلى اهتمام . والاهتمام تطلب البحث .. أين نبحث عنها ؟ . لنسأل الجيران .. لكن كل جار في حاله وهمومه . لم يعد أحد يهتم بالآخر . كانت هذه المرأة هي الحبل السرى الذى يربطنا بالمكان . وبمجرد اختفائها اختفت صديقتها واختفت الطفلتان جف

الشارع من ابتسامة كل صباح . أصبح قفراً من الخطوات الموقعة المنتظرة
الملهوفة . شيء لا يهمننا . ينبغي أن نتجاهله . حاولنا لمدة أيام ، ولكن الاهتمام
عاد إلى عقولنا ، ثم طرق أحزاننا القديمة . قالت لى زوجتى فجأة :

- الست المدرسة لم تعد تأتى ...

صهينت عن عمد :

- يعنى ..

قالت زوجتى :

- يعنى إيه ..

قلت :

- تلاتيها انتقلت إلى مدرسة ثانية ..

قالت الزوجة :

- أصل مارى تنزل تجيب اللبن كل يوم ..

قلت :

- وهى ماها ومال اللبن ؟

قالت :

- إزاي .. ماهيه اللى كانت بتجيب اللبن كل يوم .. إنت مش فاكرك ؟

ضغطت على هواجسى القلقة ..

- مش مشكلة .. أهم بناتها ..

خرخشت فى صدرى ضحكات الطفلين مع ضحكاتها ذات صباح .

كنت أشعر بالكآبة .. أصبح الأمر يهمنى .. ضاقت المسافة بينى وبين الغائبة

الحاضرة . لا أحب أن تضيع منى الفرصة دون أن أعرف .. لم أعود أن أكون

متفرجاً حتى النهاية . أنفاس البشر تدفئ روحى . خطواتهم على الأرض تزيد قامتى ارتفاعاً . أعشق كلماتهم حتى بعد أن تطير في الأثير .. الإنسان هوجبى في الحياة . شىء ما أرقنى طوال الليل . أين راحت صاحبة النظارتين الشفافتين ؟ . علمت أنها عانس . هل اكتفت من الدنيا بصدقة الطفلتين ؟ . تنتظرهما في الصباح لتوصلهما إلى المدرسة ، ثم تعود بهما بعد الظهر . وفي النظرات وتوقيع الخطوات والقبلات .. وفي أحضار اللبن .. تعرف الحب . لم تعد الطفلتان تخرجان في الميعاد المحدد . غشيت عيوننا في كل صباح . شىء ما انكسر في قلوبنا .. بلورة نقية كنا نحرس على الاحتفاظ بها . آه لو نعرف أسمها . بعض التفاصيل عن حياتها اليومية الأخرى . ودبت البلادة في الشارع رغم عشرات التلاميذ والتلميذات الذاهبات إلى المدرسة . لماذا أختفت صاحبة المصحف ؟ . سكنت الموسيقى المنبعثة من بيت المدرسة .. احتجبت الطفلتان فترة طويلة . لا ندرى سبباً لذلك .. ظللنا نحفظ بقلوبنا وحزناً في داخلنا لا نروح به إلى أحد . كنا نتصور أنها سوف تعود ، تدب على الأرض بجيويتها . يسرى في شارعنا روحها الودود ، وطيفها المرفرف . إلى من نشكو قلقنا ؟ لماذا يارق الإنسان من أجل أخيه الإنسان إلى هذه الدرجة دون أن يعرفه ؟ هل نحن في ساحة حرب . فقدنا أحد الرفاق ؟ . وبعد مرور الأيام ظللنا سحب اليأس من عودة محبة الحياة . كنا نعرف أن مرور الأيام ربما ينسينا ما حدث . وهو عابر في شارعنا . لكن دائرة الشوق ظلت تتسع وتتسع إلى أن تحكمت فينا تماماً . أختنى رمز التفاؤل من أعيننا ، أجذب الصباح في قلوبنا .

قالت زوجتى :

- هل يمكن أن نسأل المدرسة ؟ .

قلت :

— أخشى ذلك ، من يدري ؟

— لا أنكرك أنى متشائمة ... ما الذى حدث ؟

لم أستطع أن أرد عليها . طويت مخاوفي فى داخلى . البوح صعب . خطرلى أن أكتب قصيدة شعر حتى أنفس عن مشاعرى المكبوتة ، فلم أقدر . ضاعت الكلمات والحتيال . كيف الجأ إلى رموز الكلمات أمام لحم الواقع ودمه . ؟ . أصابنى نوع من الهم الدائم الذى يصاحبنى فى غدوى ورواحى . توقفت فى الشرفة أتأمل . كانت الشمس تلقى بضوئها المتوهج على المكان . ضحى حلوان الفريد ينعش الروح . استرخيت على مقعد فى عين الشمس . كنت أحب أن آخذ حماماً من الدفء اللذيد .. ندمت على أنى أضيع الوقت فى الهواجس والظنون التى لا معنى لها ، ثم عدت أركن بصرى على المكان الذى كانت تلتقى فيه الطفلتان بالمرأة . تسمرت نظرانى على مساحة بعينها ، هنا كانت تنفجر الضحكات ، يمتلئ الأثير بالحماس ، تكتسب الأرض رونقها وأهميتها بخطوات الإنسان وأنفاسه . هنا كانت تنتثر الرغبات والأمنيات فى كل صباح جديد .

ولم أرفع عيني إلا على مدرسة الموسيقى أم الطفلتين وهى تتشج بالسواد . لحظتها أدركت كل شىء . وبمرور الأيام تحول الهم إلى حزن ، ثم تحول الحزن إلى صمت ، ثم راح الصمت ينفجر إلى نتف صغيرة حادة من الغيظ .. وكان آخر ما رأيناه فى شارعنا قدمين صغيرتين ، لإحدى الطفلتين تجرهما فى تعب ... وحيدة مكتئبة .

فهرس

صفحة	
٩	١ - النجم الصغبر.....
١٥	٢ - نحو النهر.....
٢١	٣ - الصديق والنخلة.....
٣١	٤ - الجرح والوردة.....
٣٧	٥ - بشر الأمل.....
٤٥	٦ - آدم العرفى.....
٥٩	٧ - الكتيب والزهرة.....
٦٥	٨ - ملكة الكناكيت الفلسفية.....
٧١	٩ - شيخ المستر عبد القادر.....
٨٥	١٠ - مساء الحنير يابلدى.....
٩١	١١ - أريد أن أنام.....
٩٩	١٢ - محب من مصر.....
١١١	١٣ - حلم ليلة شتاء.....
١١٧	١٤ - بيان.....
١٢٩	١٥ - قدمان.....

... الكاتب فى سطور ...

- تفتح وجدانه ، وهو صبي صغير على الظلم والقهر الواقع على الفلاحين فى قرى الدلتا بمصر .
- حاصل على ليسانس اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة القاهرة .
- بدأ كتابة القصة القصيرة عام ١٩٥٣ .
- عمل فى صحيفتى المساء والجمهورية ، حيث تابع طيلة تلك السنوات الإنجازات الهامة فى الحقل الثقافى والأدبى والفنى .
- له خمس مجموعات قصصية ورواية ومسرحية وكتاب فى النقد .
- ساهم مع غيره من الكتاب فى إرساء المذهب الواقعى للقصة فى العالم العربى .
- حصل على جائزة الدولة فى القصة القصيرة ، ووسام الفنون والآداب عام ١٩٧٦ .
- كتب رواية عن تجربة السنوات الأخيرة . حيث كان يعالج بالكلى الصناعات منذ ثمانى سنوات ، ثم أجريت له زراعة كلية .
- نشر قصصه فى معظم الصحف والمجلات العربية
- توفى فى ٢٦ نوفمبر عام ١٩٨٣ .

... مؤلفات للكاتب ...

« مجموعات قصص »

١ - الديك الأحمر ، صدرت عام ١٩٦٠

٢ - زائر الصباح ، صدرت عام ١٩٦٤

٣ - أحزان الربيع ، صدرت عام ١٩٦٧

٤ - آدم الصغير صدرت عام ١٩٧٣

٥ - عابرو سبيل ، صدرت عام ١٩٧٥

* * *

٦ - المطرود ، مسرحية من ثلاثة فصول ، صدرت عام ١٩٦٩

٧ - دراسات أدبية معاصرة ، صدر عام ١٩٦٦

٨ - آدم الكبير ، رواية ، صدرت عام ١٩٧٩

.. تحت الطبع ..

أيام الأمل - رواية طويلة .

رقم الإيداع : ٨٧/٥٧٨٢
التقديم الدولي : ٦ - ١٢٦ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة ١٩٦٤ شارع منادى طين - هاتف : ٧٧٤٨٩ - ٧٧٤٥٨ - بوليا : شبراخيت - التلخيل : ٥٥٥٥١
بجروت ١ ص.ب. ٨٠٦٤ - هاتف : ٣٤٨٨٩ - ٨١٧٧٦ - ٨١٧٢٢ - بوليا : السوي - التلخيل : ٥٥٥٥١

